

obeikandi.com

صحفون غلابة

شركة الدلتا اليوم للصحافة والنشر والتوزيع والدعاية

دار دلتا للنشر



رئيس مجلس الإدارة

المحاسب

أحمد التلاوي

الناشر

سليمان القلشي

مستشار النشر

أحمد سويلم

مدير النشر

محمد هشام عبيه

الطبعة الاولى

الكتاب : صحفيون غلابة

المؤلف : محمد العزبي

تصنيف الكتاب : صحافة / تاريخ

تصميم الغلاف : إسراء ماهر فرغلي

إخراج : محمود رمضان

رقم الإيداع : ١٩٥٥٨ / ٢٠١٧

الترقيم الدولي : ٦ - ٣٣ - ٦٦٠٥ - ٩٧٧ - ٩٧٨

العنوان : ١ شارع ابن مروان - أمام مجلس الدولة الدقي

التليفون : 02/ 37483557

email : delta4books@gmail.com

محمد العزبي

# صحفيون غلاية

(الكتابة بقلم ٦ / ٦٠)

دار دلتا للنشر والتوزيع

obeikandi.com

## الكتابة بقلم «ستة على ستين»

تقدّم بى العمر، وضعف البصر، ولكننى أحاول أن يكون عندى نظرى..

مات الفنان «محمود عبدالعزیز».. أذكر له «الشيخ حسنى» فى فيلمه الرائع «الكيت كات»، أخرجه الرائع «داوود عبدالسيد» عن قصة الروائى «إبراهيم أصلان».. وعلى الرغم من إبداعات الممثل الجميل المتعددة والمتنوعة، فإننى أتوقف دائماً أمام «الشيخ حسنى»..

لإبراهيم أصلان رواية قصيرة أعود كثيراً لقراءتها؛ فهى «أيضاً» تتناسب مع حالى «حجرتان وصالة» عن رجل على المعاش وزوجته يعيشان آخر أيامهما فى غرفتين وصالة.

كانوا يسمون الفنان الراحل «عسل النحل»؛ لأن الناس يلتفتون حوله.

استعمل الرئيس جمال عبدالناصر نفس التعبير مع «خالد محيى الدين» عندما اختلف معه صديقه وزميله فى تنظيم الضباط الأحرار، وكان لا بد أن يبتعد «خالد».. طلب منه «عبدالناصر» بما يشبه القرار أو الأمر أن يختار ما بين جنيف وباريس ليقيم فيها بعض الوقت تُهيأ له فيها وسائل الراحة، وقال: باريس بلاش عشان فيها قلق وشيوعيين ولاجئيين عرب ومصريين، فلما أراد «خالد» أن يبقى فى مصر، متعهداً بعدم القيام بأى نشاط.. قال «عبدالناصر»: «أصل إنت عسل يا خالد؛ كل

الناس بتتلم حوالياك»!

فى مقال لإبراهيم أصلان مؤلف رواية «مالك الحزين» التى أصبحت فىلم «الكيت كات» يروى لحظة دفن الناقد الأذى «فاروق عبدالقادر»، وكىف أنهم عندما وصلوا المقابر فى منطقة أبو زعل ذهب ابن شقيقه، وهو مدرس بالجامعة، لىقول إن عمه «فاروق» لم يكن يصلى، وقد استفتى شىخه فأفتى بعدم جواز دفنه فى مقبرة واحدة مع المؤمنىن من أفراد العائلة، حينئذ حملوا الجثمان، واتجهوا إلى منطقة زرائب مهجورة بها عدة نتوءات متناثرة دون شواهد، كل نتوء منها يستوعب جثماناً واحداً، وضعوا «فاروق» فى واحدة منها، وانصرفوا.

كان «الشىخ حسنى» عنده نظر!!

أحببت السفير «حسنى أحمد أمين» من أول لقاء، وقرأت كتابه الجمىل «شخصىيات عرفتها» أكثر من مرة.. ولأنهىار بصرى توقفت عند ما قاله عن «طه حسنى» الذى فقد بصره بعد إصابته بالرمد وهو طفل فى الرابعة من عمره، ومع ذلك درس فى الأزهر والجامعة المصرىة وجامعات فرنسا، وحصل على أكثر من دكتوراه، وأصبح عمىداً لكلىة الآداب جامعة فؤاد الأول (القاهرة)، ووزيراً للمعارف (التربىة والتعليم). فكان أول قراراته «التعلىم كالماء والهواء» مجاناً.

دخل الأستاذ الباحث الأذى «أحمد أمين» والد السفير «حسنى» المستشفى؛ لإجراء عملىة خطىرة فى عىنيه، فجاءه طه حسنى زائراً.. ىدخل حجرة المستشفى يقوده سكرتىره «فرىد شحاتة» من ذراعه، وإذ ىسمع أبوه صوته وهو معصوب العىننىن ىمد ىده بلهفة تجاه الصوت، فىمسك بىد والده، فىمسك فرىد شحاتة بىد طه حسنى حتى تلتقى الىدان وىتصافحان.

كتب عنه «نزار قباني»:

«ارم نظارتك

ما أنت أعمى

إنما نحن جوقة العميان»

طه حسين كان عنده نظراً!

فى نفس السياق وما فعله «الشيخ حسني» أردد القصيدة الشهيرة:

«أعمى يقود بصيراً»..

وما كتبه الدكتور «أبو الفضل بدران» الأستاذ الجامعى الذى كان سكرتيراً عاماً للمجلس الأعلى للثقافة، ثم تم نقله لقصور الثقافة، ثم أطيح به كالعادة.. ذكرنا بالشاعر الصوفى «جلال الدين الرومى» يقول:

«كباغ للمرايا وسط عميان».. تستعدّ هوليود لإنتاج فيلم عن

«الرومى» يقوم ببطولته «ليوناردو دى كابريو» نجم فيلم «تيتانيك»..

وينهى الدكتور بدران يومياته فى «الأخبار» بقوله:

«تجاوزت نصف الطريق

ولم يبقَ فى صحبتي

غير ذكرى.. ونصف صديق»..

وتوقفت عند ميلاد الزميل المشاغب إبراهيم عيسى صاحب ورئيس

تحرير جريدة «المقال» ذات الطعم الخاص..

أحسن ما نُشر عن الاحتفال هو صورة لصفحات العدد الأول من

جريدة «الدستور» الأصى الذى كان فتحاً مختلفاً فى عالم الصحافة،

وكان كل من عمل فيها شاباً مارس العمل الصحفى أو مبتدئاً.

كتب «حمدى عبدالرحيم» صاحب كتاب «فيصل- تحرير.. أيام الديسك والميكروباص» أنه كان يعمل فى دييسك الدستور قبل أيام من الصدور، عندما جاءه تقرير عن خمسة وزراء يخضعون للعلاج فى الفترة الأخيرة.. سأله «عيسى»: كيف ستكتبه؟ أجاب: سأبدأ بتأمل الحالة الصحية فى دولة شاخت فى مقاعدها «تعبير شهير للأستاذ هيكىل».. ثم بعدها سأنتقل لوصف الحالة الصحية لكل وزير مريض، مع التنبيه لأن المرض أمر طبيعى جداً لرجال فى مثل أعمارهم المتقدمة جداً.. سأله «عيسى»: وماذا ستضع عنواناً للموضوع؟ أجاب: الحكومة فى المستشفى.. صاح إبراهيم عيسى: الله أكبر.

كل خريجى جريدة الدستور عندهم نظر!!

يساعدنى ابننا الصحفى «الولد الشقى الصغير» أكرم السعدنى بإرساله على «الواتساب» ما أستطيع قراءته مكبراً.. كتب من الذكريات أنه قبل حرب أكتوبر بأسابيع قليلة كان هناك مسلسل يومى باسم «عماشة عكاشة» بطولة الفنان ابن البلد خفيف الدم والروح «محمد رضا»، ومعه كان «سيد زيان، وإبراهيم سعفان، ونبيلة السيد».. وقد حدث تعديل فى يوم العبور؛ إذ وقف إبراهيم سعفان فى آخر الحلقة بقامته القصيرة، وعلى وجهه جدية لم نعرفها من قبل، ويحماس شديد وصوت أشد وأنشد وهو حامل العلم المصرى فوق جبل من الرمل: «محمد أفندى رفعنا العلم».. وحدث أن قابل الرئيس «السادات» الكاتب الكبير «أحمد بهاء الدين»، فسأله: مين اللى كتب كلام المسلسل؟ أجابه «بهاء»: عبدالرحمن شوقي.. لم يكن «السادات» يعرفه، فأضاف «بهاء»: يبقى نسيب محمود السعدنى.. ضحك السادات ضحكته العميقة الصافية وقال: والله العظيم؟! أراد «بهاء» أن ينتهز الفرصة لفتح موضوع عودة «السعدنى» للكتابة، لعل الرئيس

يستعيد أيام الصياغة مع «زكريا الحجاوى وأحمد طوغان» ورفيق رحلة الصحافة فى جريدة «الجمهورية».. ولكن «السادات» دخل فى موضوعات أخرى.

لم ينسَ الرئيس النكت التى كانت تنقلها له أجهزة الأمن مما كان يسرف «السعدنى» فى قولها.. هذا غير ما قرأه بنفسه عندما كان فى اجتماع للاتحاد الاشتراكى فى الجيزة قبل أن يصبح رئيساً، وكان بصحبته «فريد عبدالكريم» أمين الحزب، ومحمود السعدنى رئيس التنظيم الطليعى فى الجيزة.. قال «السادات» للمواطنين فى قرية «ناهيا»: جئت لكم أحمل رسالة من القائد المعلم جمال عبدالناصر، وأنقل لكم تحياته.. صفقت الجماهير.. فإذا بفريد عبدالكريم يكتب فى قصاصة ورق: تفكر يا «سعدنى» جمال عبدالناصر يعرف بلد اسمها ناهيا؟ فكتب «السعدنى» على ظهر الورقة: على الإطلاق، ولا يعرف أنور السادات نفسه! ضحك «فريد» وقهقه مجلجلاً.. بحركة سريعة خطف «السادات» الورقة وقراها.

أكرم ومحمود وصلاح السعدنى عندهم نظر!!

لم يكن عنده نظر الصحفى الفلسطينى المعروف «ناصرالدين النشاشيبي» عندما أصدر كتابه «حضرات الزملاء المحترمين»، حتى ولو ظلت عينونه ستة على ستة إلى أن توفاه الله فى مدينته القدس عن ٩٤ عاماً.. عاش فى القاهرة سنوات، وأصبح رئيساً لتحرير «الجمهورية» بأمر من الرئيس «عبدالناصر»؛ تأكيداً لموقف مصر من القضية الفلسطينية. تناول كتابه، ولعله الأخير، أساتذتنا فى الصحافة بما يشبه تصفية الحسابات.. وتكفى عتاوين بعض فصوله:

+ على الغلاف: «استحلوا الكرامة والأعراض والأموال والأسرار».

+ مصطفى وعلى أمين: التوأمان لهما قصة.

+ موسى صبري: كان اسمه «شنودة».

+ إحسان عبدالقدوس: مراهق بين السياسة والمرأة.

+ أحمد بهاء الدين: مدرسة العصا من الوسط.

+ أنيس منصور: قصة الحاوى والسلة.. والفلسفة.

+ محمد حسنين هيكل: المستشار الأول والأخير.

+ كامل الشناوي: لا تكذبي.. يا «نجا»!

النشاشيبي الذي كان رئيساً لتحرير جريدة «الجمهورية» المصرية كتب:  
«عندنا فى الجرنال أكثر من خمسمائة محرر ومصور ومراسل، نصفهم  
مرتبطون مع أمريكا، وخمسهم مع السوفييت، وثلثهم مع ألمانيا الغربية،  
والبقية مع سفارات العراق وسوريا والبوليس السياسى المصرى».

صرخ الشاعر نزار قبانى بأعلى صوته مطالباً «طويل العمر» بأن يترك  
الثقافة لأصحابها!:

على الذى يريد أن يفوز

فى رئاسة التحرير

عليه.. أن يبوس

ركبة الأمير

عليه.. أن يمشى على أربعة

كى يركب الأمير

أيا طويل العمر

يا من تشتري النساء بالأرطال

وتشتري الأقلام بالأرطال

لسنا نريد أى شيء منك

فانكح جواريك كما تريد

واذبح رعاياك كما تريد

وحاصر الأمة بالنار.. وبالحديد

لا أحد يريد منك ملكك السعيد

لا أحد يريد أن يسرق منك جبة الخلافة

فاشرب نبيد النفط عن آخره

واترك لنا الثقافة»

وكتب «النشاشيبي» عن المال الخليجي الذى أفسد صحافتنا  
وصحفيينا وجعلهم سماسرة يأكلون ويشربون على موائد أمراء الخليج..  
يقول: «لقد استبدّ المال، والحاجة إليه، بمعظم أصحاب الصحف فى هذا  
الشرق، وخضع معظم الصحفيين الكبار للضغوط المالية، بحيث انتقل  
الصحفى الكبير من خانة الصحافة إلى خانة الوظيفة، ومن الجندى فى  
السلطة الرابعة إلى موظف إعلامى فى وزارة الإعلام الحكومية، ومن كاتب  
لا يخشى فى قول الحق لومة لائم إلى صحفى يسعى لرضى الوزير وعفو  
الأمير وهبة الحاكم! بل لقد سمح بعض زملائى الصحفيين لأنفسهم  
بالولوج فى مهمات إعلامية رسمية لا تتفق مع الميثاق الصحفى، ولا مع  
شماثل الصحافة الراقية».

ويقول إن أحد أصدقائه من رؤساء تحرير الصحف تحوّل من رئيس

تحرير صحيفة يومية إلى مجرد سمسار إعلامى تجارى لحساب دولة  
خليجية!

«نحن شعب لا يستحيي».. عنوان القصيدة التى أعدم بسبها الشاعر  
العراقى «أحمد النعيمي» يقول:

ألسنا من بايع الحسين ثم خناه؟

ألم تكن قلوبنا معه وبسيوفنا ذبحناه؟

نحن خدم الحسينيات والجوامع والمساجد والكنائس والملاهي والبارات  
ونحن أيضاً أتباع الشيطان تحت السروال!

**محمد العزبي**

**مصر الجديدة - يوليو 2017**

## أول ليلة طوارئ

مجرد صدفة أن يحدث هذا في أول يوم أعلنت فيه حالة الطوارئ في مصر - وما أدراك ما الطوارئ - عشنا في ظلها سنوات طوال عجاف حتى غادرتنا ليعيدها الإرهاب، والحمد لله أنها لثلاثة أشهر فقط.. يا رب!

جريدة الأهرام «العريقة» كانت مهددة بعدم الصدور؛ لخلاف قديم تجدد بين «أحمد النجار» رئيس مجلس الإدارة، و«محمد عبد الهادي» رئيس التحرير.. حول مقال «أحمد عبد التواب»، مع أنه يكتب كل يوم منذ أزمة «أسامة الغزالي حرب»، وغضبه وامتناعه عن الكتابة في «الأهرام»، ولجؤته لـ«المصرى اليوم»، فلما عاد كان «عبد التواب» قد احتل مكانه، ورحل «أسامة» إلى مكان آخر.. و«أدى» إلى كان وأدى إلى صار».

تثير حكاية الغزالي حرب قضية: هل من حق رئيس التحرير أن يغيّر كلمات كاتب المقال، خصوصاً لو كان يقدر المسؤولية ويتحمل نتيجتها؟

الجواب: نعم من حقه؛ فهو المسؤول قانونياً وسياسياً عن كل ما يُنشر في الجريدة، ولكن مع عدد من الكتاب يجب أن نخبرهم بوجهة نظره حتى لو أصر عليها.. احتراماً لهم ومحاولاً إقناعهم أن يغيروا بقلمهم ما يتفقون عليه؛ ليكون الأمر بالاتفاق.. أو يستبدل المقال بعبارة يعتذر عن عدم الكتابة، ويواصل غداً أو في وقت لاحق!

أما «عبدالنواب» الذى قرأنا له فى الإصدار الأول الفريد لجريدة الدستور التى وضع أسسها «إبراهيم عيسى»، وباعها أيضاً! وفى جريدة «الأهالى» اليسارية..

ولم أقرأ له فى جريدة «الشعب» المتشددة المتدينة جداً؛ تثير لحيته شكوكاً لدى البعض! يقولون إنها مجرد الصداقة التى بينه وبين رئيس تحرير «الشعب»، وكان دائماً مرتبطاً بـ«الأهرام».. أما سبب الأمر الصادر من رئيس مجلس الإدارة بعدم نشر مقاله -الذى لم ينفذ- فكان عدم التجديد له، وقد خرج على المعاش قبلها بأعوام، وما زال يكتب، ولكن الحجة الجديدة أنه أصبح يكتب مقالاً يومياً هذا مع أن معظم كتاب «الأهرام» فى سنّ المعاش!

المقال نفسه وقد نُشر كاملاً ليس فيه ما يستوجب المنع والغضب! كتب أن التخطيط التأمري للإرهاب يعتمد على التأويلات الدينية المستقرة فى عقول أصحابها؛ وأن هذه الأفكار لا تزال تحظى بانتشار فى المنابر الرسمية فى كل من التعليم الأزهرى والعام..

تفاصيل المعركة لا تمم؛ ولكن عدم صدور «الأهرام» العريق يوماً أثار القلق؛ وقد نسب للصحفى النائب مصطفى بكرى انه قال بانفعال مطالباً باعتقال احمد النجار بموجب قانون الطوارئ.. كده على طول من أول يوم!! بداية تبشر بما هو قادم! تذكرنى بمدخلة على الهواء مع «جابر القرموطي» منذ سنوات قليلة عندما توقفتُ بعض الوقت عن الكتابة فيما أسميته «استراحة نهاية طريق»، وقلت إن تكميم الأفواه على الأبواب، وحرية الصحافة فى خطر..

ومضت الأعوام حتى تم تشكيل المجالس العليا الجديدة للصحافة والإعلام بقرار جمهوري، وأقسم اليمين أمام مجلس النواب، أما أحمد النجار فقد استقال من رئاسة مجلس إدارة «الأهرام» بيده لا بيد

عمرو، بينما انتظر الباقون النهاية المحتومة..

نشرت الأهرام خبر استقالة رئيس مجلس إدارتها، دون أن تذكر اسمه في الخبر المنشور على صفحتها الأولى!!

ثم تدهورت الأمور بتصريحات غير مسؤولة لـ«النجار» حول «حشيش» يتم تداوله في ردهات الصحيفة، قضى عليه كينفاً وتجارة، فانتفضت الصحيفة واذلهم الموقف!!

وإذا كان المجلس الأعلى هو الذى يقرر -أو خلافه- فإن قضية الصحف القومية ويسمونها الحكومية، وأخيراً الوطنية، فتتلخص فى إصلاح مهنى طويل الأجل بعد توهان دام سنوات.. وإصلاح إدارى بعد أن فاحت رائحة الفساد وقلّة الكفاءة.. مع تدخّل الجهلاء والمنافقين وفلان وفلان!

## «محسن وسمير وبينهما محفوظ»

حدث هذا في دار التحرير عندما صدر قرار تعيين محفوظ الأنصارى رئيساً لتحرير جريدة «الجمهورية»، ليبقى محسن محمد رئيساً لمجلس الإدارة، وكان يجمع بين الرئاستين، فدارت مشاحنات انتهت بنفس ما حدث في «الأهرام»، إذ وصل الخلاف حول نشر مقال يومى فى «الجمهورية» لسمير رجب رئيس تحرير «المساء» وقتها، ونائب رئيس مجلس الإدارة، والذراع اليمنى لمحسن محمد... وعندما رفض «محفوظ» بصفته رئيساً للتحرير أصدر «محسن» أوامره بوقف طبع الجريدة؛ بصفته رئيساً لمجلس الإدارة الذى تتبعه المطبعة، وجرت مناورات وتهديدات ومؤامرات، كان من بينها إطفاء النور وقطع الكهرباء حتى تتوقف المطبعة.. ثم تم احتواء الموقف بعد أن تأخر الطبع كما حدث فى الأهرام.

وكما حاول «محسن» ونجح فى زيادة توزيع «الجمهورية» ومضاعفتها من ٣٨ ألف نسخة للعدد اليومى يوم توليه عام ١٩٧٧ إلى ٨٨٠ ألفاً عندما ترك رئاسة التحرير عام ١٩٨٩؛ والأسبوعى وصل إلى المليون.. عمل جاهداً بعد تركه رئاسة التحرير إلى هدم كل ما بناه هو ومجموعة الشباب الذين استعان بهم تحت التمرين، فأصبح منهم مشاهير ورؤساء تحرير.. وكان أول قراراته بعد أن ترك رئاسة التحرير هى تخفيض كمية المطبوع من الجمهورية، بما يعنى تحجيم توزيعها قبل طرحها فى الأسواق.

كتب مقالاً فى العدد الأسبوعى لـ «الجمهورية» بعنوان «خذوها لتعيش» داعياً لإغلاقها، مستوحياً فكرته من قصة سيدنا سليمان

عندما احتكمت إليه امرأتان على طفل؛ كل واحدة تدعى أنه ابنها، فحكم بأن يُشق الطفل نصفين، وهو ما قبلته الأم المدعية، ورفضته باكيةً الأم الحقيقية، فركته ليعيش؛ والكلام لمجلس الشورى مالك الصحف القومية.. وقد نُشر المقال دون أن يقرأه رئيس التحرير «محموظ» أو يسمع به؛ إذ نشره مدير التحرير محمد أبو الحديد بهدوئه المعروف!

ومقال آخر لم يُنشر هاجم فيه الدكتور على لطفى رئيس مجلس الشورى مالك الصحف القومية؛ ربما لأنه لا يناصره، جاءت كلماته عنيفة غاضبة، وتدور الدوائر ليصبح سمير رجب رئيساً أبدياً كثيراً من الود لـ «محسن»، ولا شيء سوف يتغير؛ ولكنه ما أن أنهى اتصاله بمحسن محمد فور صدور قرارات التغييرات الصحفية عاد لغرفته في الفندق الذى كان مقيماً به في ألمانيا مرافقاً للرئيس، حتى اتصل بالقاهرة، وطلب من مصطفى زهران مدير عام دار التحرير أن يغيّر كالون حجرة رئيس مجلس الإدارة.. ولعل «سمير» كان يسعى من أول يوم إلى أن ينفى ارتباطه بسياسة وأخطاء «محسن»، أو لعله أراد أن يعلن أنه لا فضل لأحد عليه!

كان محسن محمد يخطط لمثل ما فعل موسى صبرى فى «الأخبار»؛ إذ سعى لأن يأتى بعده سعيد سنبل رئيساً لمجلس إدارة «أخبار اليوم»، وكان عمر «سعيد» يقترب من سن المعاش؛ ربما لم يبق له سوى شهر واحد، وكان يمكن أن يكون ذلك لغير صالح تعيينه، رغم كفاءته وتاريخه وسمعته الطيبة.. حفظ «سعيد» الود، وبقي وضع موسى صبرى تقريباً كما هو.

يقول محسن محمد فى حديث صحفى مع ماهر حسن فى «المصرى اليوم»: «أسامة الباز وراء إبعادى من الجمهورية، وسمير رجب ردّ

الجميل بالصرمة القديمة.. منعى من دخول الجمهورية، وأجلسنى وحدى فى المبنى القديم بالدور الثامن، ولم يكن هناك سوى، ومنع عنى التليفون المباشر».

بعد سنوات طويلة (نحو عشرين سنة فى رئاسة الصحف أيام مبارك) خرج «سمير» والآخرون ودخلوا فى دوامة اتهامات بالفساد وما سُمى بالهدايا لـ «مبارك» وأسرته ورجاله.. عاد بعضهم يكتب مثل محمد على إبراهيم رئيس تحرير «الجمهورية» بترشيح من سمير رجب أيام مبارك الذى يكتب بانتظام فى «المصرى اليوم»؛ وممتاز القط يكتب فى «الأخبار» التى كان رئيساً لتحرير عددها الأسبوعي.. فلما جاء الدور على سمير رجب متأخراً بمبادرة من سامى حامد رئيس تحرير «المساء» الذى سبق «سمير» ورأسها لسنوات طويلة قبل أن يصبح رئيساً لتحرير الجمهورية، ورئيساً لمجلس «دار التحرير» كلها.. عاد كل يوم سبت تحت عنوان «غداً مساءً جديد» بدأه بـ: «يا قارئ المساء وحشتني، بعد أن اختفى المقال منذ ثلاث سنوات لظروف استثنائية!»؛ وأنهى أول مقال بعد عودته بـ «وإلى اللقاء».. ولكن جلاء جاب الله رئيس مجلس الإدارة -الذى فوجئ بنشر المقال- رفض استمرار نشر مقالات سمير رجب؛ وقد تحدث معه كثيرون منهم وكيل للمجلس الأعلى للصحافة، فكانت حجته أن يقدم «سمير» شهادة من النيابة العامة تثبت براءته من كل التهم المنسوبة إليه.. ولم يُنشر المقال!

كان يتردد أن الرئيس «مبارك» معجب أشد الإعجاب بمقالات «سمير»، ويردد دائماً أنه أحسن من «هيكل» الذى لم يكن يكتب أكثر من مقال واحد فى الأسبوع، أما «سمير» فينشر كل يوم فى «المساء».. انتهزها «سمير» مرة وقال للرئيس: لو نشر مقالى فى الجمهورية يكون تأثيره أقوى!

## ماذا كانوا يقولون زمان؟

\*\* «فكرى اباطة» نقيب الصحفيين وشيخهم ورئيس تحرير «المصور» في عزّها، وصاحب الضاحك الباكي قال بعد تأميم الصحافة عام ١٩٦٠ وتعيين رقيب على كل صحيفة: أنا أكتب المقال الواحد مرتين وثلاثة علشان الرقيب يوافق على مقالة منها.. ده زى ما أكون بيع لب!

\*\* جلال الدين الحماصي، أستاذ الصحفيين، ومعلمهم مهنة وسلوكاً قال: إن بعض الصحفيين يلجأون من أجل مجدهم الشخصي إلى القيام بأدوار «غلط»، فتكون وبالاً على الوطن وعلى المهنة.. وكأن التاريخ يعيد نفسه!

\*\* موسى صبري، الذى علّم أجيالاً صناعة المهنة وأصولها وصاحب شخصية محفوظ عجب في مسلسل «دموع صاحبة الجلالة» كتب: لعل أخطاء عديدة أو خطايا في عملي الصحفى قرابة نصف قرن من الزمان، ولعل غيرى أقدر على إيضاها.. ولكننى أحمد الله أننى لم أنشر خبراً، وأنا أعلم أنه كاذب، ولم أنشر سطوراً وراءها نفع شخصى أو مادى، ولم أستثمر قلمى فى مال حرام..

وهو يعانى سكرات الموت همس فى أذن صديقه الكاتب الأديب «أحمد عباس صالح»: ألم تر أن حيلنا يرحل سريعاً.. أفكر الآن أننا خُدعنا خدعة كبيرة، وأن المتصارعين على السلطة قد استخدمونا لصالحهم أسوأ استغلال.

**\*\* الطيب المؤرخ «محمد الجوادى» قبل أن يذهب إلى قطر: «كنت أرى المغفور له الأستاذ عبدالستار الطويلة، وهو يصارع الموت في أيامه الأخيرة في أحد أسرة العناية المركزة، لم أكن الطيب المسؤول عن علاجه، فقد كنت واحداً من الأطباء المتابعين لمريض مجاور له.. كان الرجل لا يفتأ يتألم بصوت عال، بين غيبوبة وأخرى، ولكن وجهه -شأن المكافحين أمثاله- كان يكتسى بنورانية غريبة، وقد خلا من آثار الانفعال الدائم الذى يعيشه أمثاله طوال الحياة، فإذا أقبلوا على الرحيل عنها بدأ وجههم يتخلى عن هذا الانفعال، ويعود إلى طبيعة أخرى نفتقدها في أنفسنا؛ يعود الوجه مشعاً بنورانية وساحة.**

**\*\* الدكتور مرسى سعد الدين، الذى اختاره الرئيس «السادات» رئيساً لهيئة الاستعلامات في أيام صعبة؛ قال له الرئيس إن الصحفيين المرافقين لسيادته مدعوون فى اللوكانده على حسابكم.. أعطى كل واحد منهم ثمن الأكل طول اليوم، وقهوة كمان.. أنا مش عاوز حد يصرف حاجة من بدل السفر على الرحلة، خلى بدل السفر يشتروا بيه حاجات لأولادهم.. الصحفيين دول أغلب من الغلب!!**

## كيف «لا» تختار رئيس تحرير؟

شهادتى ليست مجروحة؛ فلم أكن يوماً من الواقفين في الطابور أطلب وظيفة رئيس تحرير.. زمان لم تكن هناك مجالس وطنية أو إعلامية علياً.. ولا يأخذ أحد بالاقتراح «العبي» الذى يشترط أن يكون رئيس مجلس إدارة أو تحرير صحيفة قومية فوق الثمانين عاماً!!

ولأننى لم أعد من الواقفين على خشبة المسرح أو حتى وراء الكواليس أو من المنظمين لجلوس المشتاقين في الصفوف الأمامية أو الخلفية أو حتى في الترسو!

كان الصحفيون زمان يبدأون بمسح بلاط صاحبة الجلالة، فأصبحوا اليوم من أهل الخطوة ما بين أصحاب السلطان وأصحاب الأموال وسهر الفنانات..

بقى المحظوظون على عروشهم سنوات طالت، فكان طبيعياً أن يحسوا بأن مكاتبهم هى أيضاً قصورهم، فزينوها بكل الرياش، وفرشوها من مجاميعه، ولم ينسوا السرير الفاخر المريح حتى تكون الأحلام سعيدة!

بعدها أصبحت السلام مزدحمة بالطالع والنازل حتى يركب واحداهم بعض الوقت.. وتتكرر السلام الصحفية!

فلما صدرت في ٢٠١٧ نشرة الترقيات على يد المجلس الوطنى «كرم»، ومباركة المجلس الإعلامى «مكرم».

نحن نهوى تغيير المسميات، ولكن الفعل دائماً يبقى لأمشير!!

حتى مجلس النواب كان مجلس الأمة، ومجلس الشعب، ومجلس الأمة، والبرلمان.. وهو الذى يتولى شؤون الإعلام.. استرها يارب!

ودارت أكواب الشربات بعد أن انكشف كل شيء وبان.. لولا أن اللجنة العليا بدّلت في بعض الأسماء، واكتشفت أنها بعد الفحص والتمحيص وكثرة التصريحات اختارت لجرنال دينى محرراً فنياً، وأعلنت اسم صحفية رئيسة لتحرير جريدة تصدر بلغة أجنبية، ثم عادت اللجنة في كلامها عندما جاء المساء، وثبتت رئيس التحرير السابق، ونشرت صحيفة كبرى الاسمين، واحد في الصفحة الأولى والثانى في صفحة داخلية من نفس العدد بنفس الصحيفة.. ثم ظهر في اليوم التالى اسم ثالث رئيسة للتحرير! ونسيت اللجنة مجلة تصدر من «الأهرام»، فصدر في اليوم التالى ملحق باسم رئيسة التحرير الجديدة.. وتعجب المثقفون من تولى زميل أمر مجلة إديبة عريقة؛ لأنه كان يعمل مندوباً لمجلة أسبوعية تصدر عن نفس الدار في وزارة الداخلية، ولا علاقة له بالثقافة! وصحيفة رياضية عادت لرئيس تحريرها الأصيل بعد الإعلان عن تولى أمرها ناقد رياضى شاب.. وتولى رئيس تحرير مجلة فنية أمر أكبر جريدة سياسية.. ولما كان القانون يمنع تولى أعضاء المجالس العليا للصحافة منصب رئيس إدارة أو تحرير صحيفة كان الحل أن يستقيلوا من المجلس قبل أن يبدأ.. كذلك تولى أعضاء من مجلس نقابة الصحفيين، فتخلط الأمور، ولا نعرف لمن نشكو، وقد أصبح الرئيس هو الحكم.. وهكذا!!

غير أن الذى غطى على ما جرى هو تقدم «مكرم محمد أحمد» نقيب الصحفيين الأسبق، ورئيس المجلس الأعلى الحالى ببلاغ للنائب العام ضد جريدة «المقال» ورئيس تحريرها إبراهيم عيسى، يطالب

بحبسه، وكان المفروض أن يرد عليه بمقالات نارية، ولو من نوع  
«طزيا إبراهيم»!

الغريب من يقول إنها مجرد «قرصة ودن» من مكرم!!

القضية تتلخص في أمرين:

تخلف مهني أخشى أن يكون قد أصبح مزمناً، وفساد إدارى ومالى  
عميق!

## مطلوب رئيس تحرير

كان أستاذنا «عبدالوارث الدسوقي» يقول من زمان: لا تصدّقوا تغيير قيادات الصحف وحيثياتها. فكل الحكاية أنهم يريدون شخصاً بعينه، فيقومون بكل تلك الحركات.

تكرر ذلك في كل العصور التي شهدناها، ولكل شيخ طريقته، حتى وصلنا للإعلان عن طلب وظيفة رئيس تحرير. وما يتبعها من إجراءات تنتهى كالعادة بما يريده الوالى.

منذ تأميم الصحافة تولى أمرها ضباط من يوليو. أحسوا بأن الكلمة أهم من أسلحة الجيش فى الثورة. عرفوا قيمتها. وإن حاربوها.. لم يزد عددهم على مائة ضابط نجحوا؛ لأن الشعب كان غاضباً مسانداً، والصحف كانت ضد الملك والباشوات.

يزعجهم أن تكون الصحف حرة. فتولى أمرها أهل الثقة. وأضمنهم العسكر. حكموا الأخبار والجمهورية و«روز اليوسف» ودار الهلال. ولم يكن غيرها سوى «الأهرام» الذى كان أكثر من مضمون بهيكل. فلما أطيح بالأستاذ، توالى عليها من يسمع الكلام، ويوسف السباعى صاحب السيف والروايات.

فلما تغيرّ الزمن دخلنا فى عصر «صفوت الشريف»، ومدرسته بالاهتمام بالراقصة والنفاق المكشوف. أو حتى بالهدايا لمن يملك الأمر.

ولما جاء «جمال مبارك» برجاله كانوا الأكثر نفاقاً والأقل تأثيراً،

وكانوا على عجل، ولم يستمروا طويلاً.

مرة أخرى تغيرت الدنيا، وأصبحنا فيما نحن فيه، مع خبرة أقل في اختيار الرجال، وهرولة للاستيلاء على الأسلاب.. والصحف من نصيب مجلس الشوري!

العين دائماً على رؤساء التحرير، بينما الخطر كبير مع تصاعد الهجمة الشرسة من أصحاب صحف وتليفزيونات خاصة وعلامات استفهام غامضة متربصة.

جاء المجلس الموقر ليكمل على ما تبقى، يلخصه البعض في أنه «أخونة» الصحافة.. أو على الأقل دخولها في الحضانة.

يزعجهم ألا يكون الإعلام تابعاً.. ولا يلقون بالألّ للمشكلات الجادة: حربة ومهنية ومالية وميراث متراكم هدد جدران صاحبة الجلالة بالانهيار!

«الخازوق» رئيساً للتحرير!

بعث «مصطفى أمين» رسالة إلى «أنيس منصور» عند تعيينه رئيساً لتحرير مجلة «الجيل» بدأها بقوله: «يا عزيزى أنيس، لا تتصور أننى أكتب لك رسالة تهنئة. إننى أعرف أكثر من غيرى ما هو منصب رئيس التحرير.. إنه أكبر «خازوق» فى الصحافة، ولا أريد أن أهنتك بالجلوس فوق الخازوق!».

ما من مشتاق إلا ومعه الخازوق.. محافظ. وزير. مدير. رئيس تحرير.. لا يفلت منه إلا بالموت. وهذا هو الخازوق الكبير. وما الخلاف الأخير بين وزير مشتاق لرئاسة الوزارة، وصحفى مشتاق لحكم الصحافة؛ سوى لعبة -أو لعنة- خوازيق. كانوا نجوماً تحيط بهم الأساطير. ويراهم القراء بخيالهم ما بين يوسف بيه وهبي، أو

سليمان بيه نجيب، أو عبدالفتاح القصري، أو النابلسي، أو إسماعيل يس.. وصولاً إلى حسين فهمي، وأحمد حلمي! فكان «الرجل الذى فقد ظله»، و«دموع صاحبة الجلالة»، و«زينب والعرش»، ومسرحية «أصل وصورة»، مستوحاة من شخصية رئيس تحرير تقمصها الفنان «حسن مصطفى». تتغير الدنيا سريعاً، فبعد أن كان رؤساء التحرير باشوات وبكوات وموهوبين أصبح الأمر اشتراكية.. أحياناً لمن يرضون عنه أو لمن يغضبون عليه!

أما أشهر خازوق فذلك الذى اكتشفه الكاتب المسرحى الموهوب «محمود عبدالرحمن» فى روايته الشهيرة «حفلة على الخازوق» المأخوذة عن حكايات «ألف ليلة وليلة»، والحاكم الذى اختار معاونيه غير الأكفاء، فعاثوا فى الأرض فساداً وظلماً للعباد يلقون التهم ويفتحون السجون.. ولم يكن السلطان على علم بما يدور حوله. مسرحية عمرها أربعون عاماً أول ما عُرضت فى الكويت!

## حتى «لا» نغلق الصحف؟

كلما زاد الحديث عن الإصلاح ازداد خوفاً من الإفساد.. وكلما كثر ترديد كلمة شرف المهنة توجّست شراً.. وكلما وعدونا بنعيم الحرية تحسست رقبتى! هكذا علّمتنى الأيام.

أعتقد أحياناً أنني أصبحت من خيل الصحافة وعواجيز الفرح، ولكن التدهور السريع في حال صاحبة الجلالة يثير القلق، اليوم وغداً!

هكذا جاء تحذير «نيوتن» -الاسم الحركى للمهندس «صلاح دياب» يدق جرس الإنذار بشدة، وهو عاشق للمهنة يقولون إن جينات صاحبة الجلالة تجرى في دمه بالوراثة عن جدّه الكاتب الكبير الراحل «توفيق دياب» صاحب جريدة «الجهاد»، والمواقف الوطنية المشرفة، بعد رحلة طويلة كرّج أعمال ناجح اتجه «صلاح دياب» لتحقيق حلمه الحقيقي، وهو إصدار صحيفة «المصرى اليوم»، وأحسب أنه مشروعه الوحيد الذى لا يحقق ربحاً..

عندما صدرت في صيف عام ٢٠٠٤ كنت في منتجع سياحى بالساحل الشمالى، أذهب إلى محل لابوار، وصاحبه «صلاح دياب»، أطلب الحلوى وأشترى «المصرى اليوم»، وأذكر -مع الفارق- «جمال الدين الأفغانى» الذى كان يجلس في قهوة «متايا» بميدان العتبة يوزع السعوط «النشوق» بيمناه، ويوزع الثورة بيسراه!

عندما يكتب «نيوتن» عن الخطر الذى يهدد الصحف نستمتع إليه

باهتمام، ونقرأ ما بين السطور.

الصحف «الأربعة» الرئيسة في هولندا توزع «اثنى عشر مليوناً وسبعمائة ألف نسخة» يومياً، في بلد تعداده ١٧ مليون نسمة.. غير الصحف المحلية.

كم توزع الصحف في مصر، وقد زاد عدد سكانها على التسعين مليوناً؟

أتحدى أن تنشر صحفنا بياناً بأرقام توزيعها كما كانت تفعل زمان!

يا صحفك يا مصر!!

## معاناة الصحافة

علينا الاعتراف بأن صناعة الصحافة مهددة بالانهيار. القومية أو الأهلية على السواء. أو حتى المهجين بين الصحف الخاصة، والتي تشرف عليها بعض الأجهزة. يوم اختفاء أى جريدة عن الصدور سيكون نذير شوؤم على الجميع.

إلغاء الدعم بالتدريج. اتجاه عام للدولة. لن يسمح باستثناءات. ولذلك إذا افترضنا أن المؤسسة الصحفية يصلها على سبيل المثال ٥٠٠ مليون جنيه دعماً كل عام من الدولة، وافترضنا أن توزيعها ١٠٠ ألف نسخة يومياً. معنى ذلك أن تكلفة النسخة على المؤسسة تصل إلى ١٥ جنيهاً دعماً، بالإضافة لسعر البيع ٢ جنيه. لنا أن نغير في أرقام الدعم والتوزيع ليكون القياس مع الفارق.

أن تُدخل المريض الإنعاش أو غرفة العناية المركزة. هذا لا يعنى أنه سيعيش. إنها محاولة لإنقاذه.. لمواجهة أزمة طارئة.. لكن إذا كانت هذه الأزمة دائمة، تكون الرعاية المركزة بلا معنى.. لن تفيد.

مطلوب جراحة دقيقة عاجلة.. المشكلة الكبرى تكمن في العمالة الزائدة.. معظم الدعم الذى تحصل عليه المؤسسات الصحفية أو التلفزيون يذهب للأجور، لا مجال هنا للتطوير.. إذا أردنا تغيير الوضع فيجب أن تتولى الدولة مباشرة أمر العمالة الزائدة. تتولى رعايتهم حتى يصلوا السن المعاش. وتنتقل المؤسسات نحو النجاح. لا داعى لنستمر ٢٠ سنة أخرى مكبلين بالفشل.

عند تأميم الصحافة كان الهدف أن تتبنى الصحف مصلحة المواطن،

لا مصلحة القصر أو مصلحة الحزب، هذه الرسالة النبيلة اختفت مع الأيام.. إعلام الدولة يتحدث بلسان النظام الحاكم، حتى الإخوان عندما جاءوا للحكم جاءوا برجالهم؛ ليطبقوا الأسلوب نفسه.

في مقاله بجريدة «الأهرام» قال الدكتور عبدالمنعم سعيد إن التوزيع تراجع من ٣,٥ مليون نسخة عام ٢٠٠٠ إلى ٣٥٠ ألف نسخة في ٢٠١٧. المبيعات صارت في أقل من ٢٠ عاماً أقل من ١٠٪.

الخروج من المأزق لن يكون أبداً بتكرار الماضي واستحضاره. حتى لو جئنا بنجوم العصر الذهبي للصحافة: مصطفى أمين، وعلى أمين، وهيكل، وأحمد بهاء الدين، وإحسان عبدالقدوس، وموسى صبري، وإبراهيم سعدة، وإبراهيم نافع، وجلال دويدار، وصلاح منتصر، ومكرم محمد أحمد... من يحاولون تقليد هؤلاء النجوم سيكونون مسخاً مضحكاً. لو عادت كل هذه الأسماء، فلن يستطيعوا أن يمنحوا صحافة اليوم قبلة الحياة. لا سيما بعد أن تدهور بعضها، فأصبحت مجرد نشرات كانت تغنيها عنها هيئة الاستعلامات مرة واحدة.. بعض آخر وجد الأسهل أن يتحول إلى صحافة صفراء. المشكلة ألا علاقة لها بالنوايا. فاقد الشيء لا يعطيه ولن يعطيه.

من ناحية الإصلاح المالي؛ مؤسستا «الأهرام» و«الأخبار» تحديداً لديهما أصول لا تقدر بثمن، يمكن لو أحسنت إدارتها لتجاوزتا كبوتهما الاقتصادية بسهولة.

إذن، محاولات تدوير الماضي لن تكون حلاً. ولكن هناك إعلام آخر أراد الحياة. موجود في أمريكا وأوروبا واليابان. وجد وسائل جديدة عملية ضمنت له البقاء، بهذا استمر في النمو والازدهار.

الطريق ليس مسدوداً.. هو مفتوح فقط أمام الحلول الجديدة

المبتكرة.

## كيف «لا» تصدر صحيفة؟

أصدر الصحفي الأديب «سامى فريد» كتاب «صالة التحرير»؛ كشف فيه أسرار ما كان يجرى وراء كواليس جريدة «الأهرام» التى كان يعمل بها بعد أن عاش سنواته الأولى يتلمذ على يد الأديب الكبير «يحيى حقي»..

٤٥ قصة ممتعة ومثيرة مثل الظروف التى أحاطت بموت الأستاذ «على حمدى الجمال» رئيس تحرير الأهرام وقتها أثناء رحلة لأمریکا يغطى زيارة للرئيس السادات، وقيل يصلحه.. ومثل الرجل الغامض الذى غنت له «سعاد حسني» فى فيلم «خلى بالك من زوزو» شعر «صلاح جاهين».

وكتب الصحفي «محمد الشماع» فى يومياته بجريدة «الأخبار» عن «صالة النجوم» فى «أخبار اليوم»، وقال: وصلنا إلى مرحلة بقلم وصورة الكاتب، ولم يعد مهما ماذا قال، ولكن المهم هو أن يكتب اسمه مقروناً بصورته «وبس»!

أما الصحفي الشاب «محمد هشام عيبه» الذى تولى رئاسة تحرير جريدة اليوم الجديد وهو فى منتصف الثلاثينيات من عمره لولا أن عين الأمن أصابته! فقدم فى جريدة «المقال» ملخصاً وتعليقاً عما يحدث عندما يجتمع ٦ من الصحفيين لإصدار الأعداد التجريبية من جريدة لن تصدر أبداً؟ اسمها «العدد صفر»، آخر روايات الكاتب الإيطالى الأشهر «أمبرتو إيكو». نشرها قبل وفاته فى ٢٠١٦ بعام

واحد فقط، وكأنها رسالة يودّع بها العالم مفادها «كل ما تعيشونه كذب أيها السادة»! ترجمها من الإيطالية إلى اللغة العربية الأستاذ «أحمد الصمعي».

البطل «كولونا» كاتب الظل الذى يعيش فى ميلانو، يكتب الروايات البوليسية لصالح مؤلفين آخرين، ويترجم من وإلى الألمانية بعض الأعمال الرديئة، ويبحث عن حب حقيقى أو مغامرة جديدة، وهو فى الخمسينات من عمره؛ لأن «الحياة لم تكن جديرة بالاهتمام»، كما يصفها هو بنفسه. فى صيف ١٩٩٢، يأتيه العرض من «سيماي»، وهو صحفى مخضرم معروف فى الوسط بأنه ليس صاحب تجارب ناجحة، لكنه موجود دوماً فى الوسط الصحفى. سيتعاونان معاً برفقة فريق آخر من الصحفيين قد يصل إلى ٦؛ من أجل إصدار الأعداد التجريبية من جريدة جديدة اسمها «الغد»، وصولاً إلى العدد «زيرو» الذى يسبق طرح أول عدد فعلى من الجريدة فى الأسواق. فى الاجتماع الأول يجتمع الفريق معاً، جميعهم باستثناء «سيماي» و«كولونا» لا يعرفون الغرض الرئيس من الجريدة. صاحبها رجل أعمال إيطالى فاسد يريد إصدار الأعداد التجريبية من الجريدة؛ بهدف أن يدرك منافسوه ورجال المافيا ومسؤولو الدولة أنه سيكون لديه جريدة عن قريب، وهكذا يمكن أن يستخدمها وسيلة لتصفية منافسيه وابتزازهم، وللوقوف فى وجه الدولة حينما يتطلب الأمر ذلك. لكن الجريدة لن تصدر أبداً.. عددها الأخير سيكون هو «العدد صفر». هذا ما يعرفه «كولونا» و«سيماي» ورجل الأعمال، لكن باقى الفريق من الصحفيين الذين جاءوا فى حماس شديد من أجل أن يمارسوا الصحافة التى يحبونها بعيداً عن صحافة محالّ الخلاقة والنميمة لا يعرفون ذلك. فما الذى سيحدث فى الاجتماعات التحريرية التى ستجتمع بينهم؟

سيفتح «سيماي» الحديث معهم قائلاً: «أبى عودنى ألا أصدق

الأخبار كما لو كانت منزلة. الصحف تكذب والمؤرخون يكذبون، واليوم التلفزة تكذب أيضاً. أرأيت نشرات الأخبار في السنة الماضية (يقصد ١٩٩١) في أثناء حرب الخليج. صورة طائر «الغاق» الملطخ بالقطران، وهو يجتضر على سواحل الخليج العربي؟ لقد تأكد بعد ذلك أنه يستحيل أن يوجد طائر الغاق في الخليج، وأن الصور تعود إلى ثمانى سنوات قبل ذلك أثناء الحرب بين العراق وإيران».

هذه آراء توحى بأن الجريدة ستكون ثورية، ولا تقارن بما سبق من صحف إيطالية نخرها الفساد والصفقات. لكن عند بدء العمل الفعلي في الأعداد التجريبية تبين أهداف «سيماي» وصاحب المال تدريجياً «الأبراج.. الناس لا يحبون أن تقولى لهم إنهم في الشهر التالى سيصابون بالسرطان. اصنعى تنبؤات تماشى جيداً أحوال الناس جميعاً. أعنى أن قارئة في سن الستين لن تتفاعل مع نبأ مستقبلي مفاده أنها ستعثر على حبيب عمر في مقتبل الشباب».

ليس هذا فحسب، خذ هذه أيضاً، يقول رئيس تحرير الجريدة التى لن يقرأها القارئ أبداً: «إذا تحدثنا عن مقتل فالكونى (قاض قتله المافيا) كان علينا أن نتحدث عن المافيا، وأن نعيب تهاون قوات الأمن وأشياء من هذا القبيل بضربة واحدة، فنصبح أعداء الشرطة والحرس والمافيا.. أكثر الحلول حذراً هو الالتجاء إلى ما هو عاطفي، كإجراء حوار مع الأقارب، مثلما تفعل قنوات التليفزيون عندما يدقون جرس باب منزل الأم التى أذابوا ابنها في العاشرة من عمره في الأحماض: سيدتي، ماذا كان شعورك عندما علمت بموت ابنك؟ تبتل عيون الناس بالدموع، فالجميع يستمتعون بمأسى الغير. هذه هى العاطفة التى ينبغى للجريدة احترامها وتعزيزها».

ثم وعندما يتناقشون حول كيفية مناقشة قضايا مثيرة لجذب

القارئ؛ كالحديث عن تجمعات الشواذ والحريّة للجميع، وأنهم موجودون في السياسة والبرلمان وحتى في الحكومة يظنّ العامة أنهم الكتاب وراقصو الباليه فقط، لكن بعضهم يحكموننا دون أن نلفظن إليهم.. لكن حذار دون ذكر أساء!

((هل لاحظت أن هذا منهج صحفى مصرى أصيل؟ هل تم اقتباسه من إيطاليا أم نقله الإيطاليون من مصر؟ أم إن ما يجمع بين مصر وإيطاليا ليس البحر المتوسط فقط، وإنما أساليب التجارة بالصحف والناس لصالح رجال المافيا مهما كانت أسماؤهم وجنسياتهم.. مصرى أو إيطالي؟)).

يحدّره «كولونا» من الاستمرار في التحقيق؛ لأنه يثبت تورط بعض مؤسسات الدولة، ولكن الصحفى المتحمس «بروجاوتشيو» استمر في سعيه، حتى عثروا عليه مقتولاً في أحد شوارع ميلانو الضيقة، لتكون وفاته سبباً كافياً لأن يغلق رجل الأعمال جريدته، وهى لم تصل بعدُ إلى العدد صفر، وليجد «كولونا» وحببته «مايا» أن سبيلهما الوحيدة للحياة هو أن يغادرا ميلانو إلى إحدى الجزر الإيطالية ليراقبوا بلادهم وهى تتحول تدريجياً إلى دولة من دول العالم الثالث، الذى يتعايش فيه الضحايا مع القتلة وهم يقرأون الصحف في هدوء، دون أن يدروا أن بعض هذه الصحف تساهم في قتلهم دون حتى أن يصدر منها ذلك العدد الصفري!

((هل يحتاج بعض أصحاب الصحف الخاصة ومحطات التلفزيون في مصر لقراءة رواية «العدد صفر».. أم يفكر كل واحد منهم في كتابة قصته مع الإعلام على طريقته؟!)).

# رؤساء وإعلاميون وعفاريت!

ربنا يستر؛ فالكلام هذه المرة عن الرؤساء وهم «يفرمون». وعن الإعلاميين وهم لا يُغفرون. وعن العفاريت التي تظهر هذه الأيام في عز الظهر. وأبدلاً لا ينصرفون زى زمان.. وأنا أخشاهم منذ طفولتي. والحمار الذى ركبته ليلاً في قريتي فإذا به يعلو ويعلو. يقولون إنه الشيطان. ذلك اللعين الذى كدنا نتخلص منه أيام «سيدنا نوح» وسفينته. التى جمع فيها من كل زوجين اثنين. ولا يركبها سوى من آمنوا. فإذا بالشيطان يتعلق بذيل «الحمار» آخر الراكبين. و«نوح» يستحته ويقول: «ادخل يا لعين».. فلما اكتشفوا وجوده على ظهر السفينة قال له نوح: كيف دخلت؟! أجابه: ألم تقل ادخل يا لعين. وأنا اللعين!!

حكايات ركبتنى وكأنها عفاريت الليل، واستهوتنى في «ألف ليلة» و«احكى يا شهرزاد».

أما الرؤساء فحسابهم في السماء. ألم يقل «عمر بن الخطاب» وكان رئيساً بدرجة أمير للمؤمنين: «لو عثرت دابة في العراق، لحفت أن يسألنى الله عنها: لم لم تصلح لها الطريق يا عمر؟!».

ولقد كثرت الدواب المتعثرة. وأصبح المحكومون بالملايين. يصعب إرضاءهم. والعدل بينهم وسط أطماع الأثرياء وغضب الفقراء وتصريحات الوزراء.

ف«محمد نجيب» أول من سمعنا عنه رئيساً. ولا أقول عرفناه. لم يدم طويلاً. وابتعد عن العيون. واختفت سيرته. وكأنه «البرادعي» الذى

أنكرنا عليه جائزة «نوبل»، وشطبناه من كتب المدارس.

«جمال عبدالناصر» ملاً الدنيا وأحبه الناس إلا من أضاع ملكهم. ولم يعد أمامهم سوى «النميمة» في «نادى الجزيرة».. حتى بعد التنحي والهزيمة النكراء، تمسك به الملايين؛ لأنهم يخافون من الغد المجهول، ولا يعرفون غيره، لعله ينقذهم!!

لم يعيش حاكماً أكثر من ١٤ سنة، فلم يختبر إن كانت نيته الحكم إلى الأبد، أم ماذا؟!!

«أنور السادات» يحكمنا من قصر عابدين حتى صدر ما عُرف بقانون «الهوانم»، الذى تقدمت به ثلاث سيدات من أعضاء مجلس الشعب ليصبح حكم الرئيس إلى الأبد، وليس مُدتين مثل باقى الرؤساء.. والشكر للنائبات «فايدة كامل» و«زينب السبكي» و«فاطمة عنان».

لم يكمل «السادات»؛ فقد كان قدره الاغتيال في يوم الفرح. ذكرى النصر.

حتى جاء «حسنى مبارك» ليدخل قائمة الرؤساء المزمين (٣٠ سنة) وهو الذى كان يتمنى أن يُعين سفيراً بعد خروجه من الجيش.. والقصة ما زالت ماثلة عبرة للجميع، بينما يعانى من الشيخوخة، وهو وأبناؤه ما زالوا أمام المحاكم بتهمة الفساد، ويعود «أحمد عز» لصناعة الحديد، و«علاء» و«جمال» في عزاء والدة مصطفى بكري. وصفوت الشريف مستنداً لذراع ابنه في عزاء «أمين بسيوني»، و«فتحى سرور» يعود إلى الحمامة، و«مفيد شهاب» أستاذ القانون يعود بمناسبة «الجزيرتين».

انتهت ولاية «مبارك» بالثورة التى لم تعد تعجب أحداً.. وانتهت

الثورة بحكم الإخوان. سنة من العجاف!!

وجاء «السيسي» بصفحة جديدة، ومازلنا نتحسس -نحن وهو- الطريق.. ونستعيد كلمة الشيخ «الشعراوي» للرئيس الأسبق «مبارك»: «إذا كنت قدرنا ليوفقك الله، وإذا كنا قدرك فليعينك الله».

تفاوت سنوات حكم الرؤساء؛ فليس لها في النهاية قانون!

# الرئيس والسادة المثقفون

كل رئيس له طريقة: «محمد نجيب» لم يُختبر.. و«عبدالناصر» حاورهم واعتقلهم.. و«السادات» لم يحبّ «الأفنديات». حتى أدخلهم السجن.. و«مبارك» لم يهتم بهم. تركهم لـ«حظائر» وزرائه. أما «مرسي» فلم يمهله ربه ولم يمهله.. وما زال «السيسي» يحاول إقامة الكبارى مع الإعلاميين. لعلهم يرضون!!

أفضل تعليق ما قاله «بهاء طاهر»: «الرئيس قال اسمعوني.. ولم يقل أطيعوني»!!

في لقائه مع رؤساء تحرير الصحف القومية تحدث الرئيس عن معاناة الناس وعن آمال المستقبل..

أعجبني: «صمت المصريين يؤلمني.. لا كلامهم».

وأعجبني: «لا أحد على رأسه ريشة».

كل الإعلاميين -إلا قليلاً- ينافقون كل رئيس. حتى تنتهى ولايته.. والذين دخلوا منهم السجن يُسبّحون بحمد جلاذيتهم. حتى يفقدوا عروشهم.. والذين لا يختشون منهم يختفون بإطفاء الأنوار عليهم؛ فلا صوت يعلو على صوت الطبل البلدي!!

يسميا «عماد الدين حسين»: قنوات بير السلم!!

عندما جاء رئيس جمهورية فرنسا السابق حرص، إلى جانب اللقاءات الرسمية العلنية، على لقاء مثقفين ومعارضين خارج السلطة.. لا يهم ما حدث وراء الكواليس، وليس ما سمعناه من بيان

«جميلة إسماعيل» وتصريحات «خالد علي» وتحليلات «عبدالله السناوي»، ومقال «زياد بهاء الدين». وحضور النائب «محمد السادات». وعميدة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية «هالة السعيد» يكشف كل ما قيل في لقاءات «هولاند» غير الرسمية سواء في السفارة، أو في أحد الفنادق. ذكر عنه «محمد سلماوي» أسماء الحاضرين الخمسة، وتجاهل اسم «إحدى فنانات الرقص. التي لم يلتقط اسمها». مع أن المفروض أن تكون تلك المثقفة الفريدة هي أول من يحفظ اسمها زملاؤها. على مائدة الطعام مع الرئيس الفرنسي، وهم إلى جانب «سلماوي» والروائي «علاء الأسواني» وأول رئيس لمكتبة الإسكندرية «إسماعيل سراج الدين»، والمنتجة السينمائية «ماريان خوري»، والمخرج الشاب «أحمد مراد».. اختيارات مُنتقاة!!

يتصادف أن تنشر الروائية والكاتبة العراقية «إنعام كجعة جي» في مقال لها بعنوان: «لبنانية شابة في حضرة الرئيس»: «ثلاثة صحافيين وقع عليهم الاختيار لمحاورة «فرانسوا هولاند» على الهواء، بينهم «ليا سلامة».. لم يلفت انتباه وسائل الإعلام الفرنسية سوى «ليا»، واسمها الأصلي «هيا».

هل أقلقتهم جرأتها مع ضيوفها، أم لأنها عربية، ولو عاشت منذ طفولتها في فرنسا؟! كتبت: «لو كانار تشينيه» أشهر المجلات الساخرة في فرنسا أن اختيار «ليا سلامة» واحدة من ثلاثة يحاورون الرئيس جاء لأسباب لا تمت كثيراً لمواهبها الصحفية.. ولقد تم استبدال مسؤولية القسم السياسي بالقناة الثانية بها؛ لأن مدير الأخبار يرى أنها جذابة!!

أما «ليا» فلا تؤمن بالمثل العربي «اطعم الفم تستح العين»؛ فهي لم تجامل الرئيس أو تعفيه من الأسئلة المحرجة.. وتقول إنها مندفة ومجازفة؛ لأنها لبنانية، ولأنها من «برج العقرب».

تنهى إنعام كجة جى مقالها بعبارة «سلامة من لدغة «ليا»!!

عند إجراء تغييرات وزارية أيام «حسنى مبارك» وصف «مصطفى أمين» من سيتولى الوزارة بأنه سيجلس على مصيبة، فاكطفى الرئيس مبارك بأن قال فى إحدى خطبه: «مش هقوله غير ما يصحش وحرام عليك، ولولا إنه راجل كبير كنت هقوله كلام قاسي».

أما «مصطفى أمين» فقد قال بعد ذلك: «إذا غضب منك ناصر قصف عمرك، والسادات يقصف قلمك، بينما مبارك يكتفى باللوم».

# هاتوا البخور واذبحوا الديوك!

أعود إلى أحاديث جدي. التى عفا عليها الزمن. ثم عادت سيرتها الأولى، وعشنا فى أساطير الماضى والخرافات. أخاف القطة السوداء، وأبتعد عن طريق وابور الطحين، وأستمع معها لحديث «العرافة» العجرية، ونزور شيوخنا؛ تتبأ بالمستقبل، و«تعمل العمل».

لم تكن عفاريت «النت» قد ظهرت، وكهرباء السد قد وصلت، ونور العلم قد ملأ العقول.

حتى العمارة «المسكونة» المشهورة فى الإسكندرية، فظلت خاوية سنوات طويلة، اقتحمها شباب وباتوا فيها ليلة، ثم خرجوا فى أمان يعلنون أن العفاريت أوهام.

اختلفت التفسيرات، فمن قائل إنها ثورة الشباب أعادت الثقة فى الناس.. ومن قائل إنهم كانوا بلطجية، وقائل بأنه سرعان ما تعود العفاريت.

لفت نظرى أن المنجمين والنصابين قد زاد عددهم ونفوذهم، وأن الخرافات قد انتشرت وأفسدت، وشاشات التلفزيون امتلأت بالمشعوذين، وألحّت على المشاهدين، والصحف من السياسة إلى الحوادث تطل من سطورها العفاريت.

على صفحتين من جريدة كبرى عناوين من قبيل: حكاية قرابين الجان من الإسكندرية إلى أسوان.. ادبح ديك وهات بخور بـ ٥٠ ألف جنيه، دمء الأطفال والماء المقروء عليه سورة سيدنا يوسف، باعوا الأرض لشراء الزئبق الأحمر والبخور المغربى... استرها يارب!

## تعددت الأسباب

على أيامى مات الملك فاروق منفياً في إيطاليا التى أحبها، وكان يقضى الصيف في جزيرة كابري، حيث ملوك العالم وأصحاب الملايين ونجوم السينما يذهبون إليها كل صيف، وقد قضى فيها الملك فاروق شهر العسل عند زواجه الثانى من ناريمان.. يومها وصل غضب المصريين أشده، وقال فضيلة الشيخ عبدالمجيد سليم شيخ الأزهر وقتها عبارته الشهيرة: «تقتير هنا وإسراف هناك»!

عاد فاروق إلى كابرى على ظهر اليخت المحروسة بعد زوال عرشه ومعه حقائبه وزوجته وبناته وطفله من ناريمان، بعد أن نجى من المحاكمة والإعدام، كما انتوى الضباط الأحرار، لولا إصرار جمال عبدالناصر على أن يخرج سالماً من مصر حتى لا تبدأ الثورة حكمها بالدم.

ومن الجزيرة الإيطالية الجميلة إلى العاصمة روما حاول الملك فاروق أن يستمتع بحياته في منفاه، وأهم المتع عنده كان الطعام الذى قتله!

يبالغ مدير «ايل دى فرانس» المطعم الذى كان يفضله فاروق عندما ذكر للصحفيين تفاصيل الوجبة الأخيرة، وقال إنها كانت سلطانية مكرونة سباجيتى بالمحار مع كيلو من لحم فلورنسا المتميز مع جردل بطاطس.. أما الحلو فنصف تورتة وخمس صوابع موز وخمس تفاحات.

يبدو أن التخممة لم تكن السبب المباشر، وإنما جرعة من سم اسمه

«الاكوتنين» وضعها له مجهول في كوب عصير جوافة، سرعان ما تردد أنه ضابط مخبرات مصرى كان ملحقاً بالوفد المصرى فى الأمم المتحدة جاء إلى إيطاليا قبل شهر بجواز سفر مزور، واستطاع أن يجد عملاً «جرسون» فى المطعم الذى يسهر فيه ملك مصر السابق كل ليلة.. ثم تردد أنه «إبراهيم بغدادى» الذى أصبح محافظاً للقاهرة بعد ذلك.. ولقد نفى «بغدادى» القصة من أساسها..

فى الواحدة والنصف صباحاً أحمرّ وجهه، ووضع يده فى حلقه، وحملته سيارة إسعاف ومات.. كان قد أوصى بأن يُدفن فى مصر، ولكن جمال عبدالناصر رفض، فلما ألحّ عليه الملك فيصل اشترط ألا يُدفن فى مسجد الرفاعى.. وصل جثمانه فى منتصف الليل إلى مسجد إبراهيم باشا، حتى سمح «السادات» بعد تولّيه السلطة بنقله إلى الرفاعى؛ ليُدفن بجوار جدّه إسماعيل والأسرة العلوية.

«أحمد مرتضى المراغى» فى مذكراته: «شاهد على حكم فاروق» وقد كان وزيراً لداخلية مصر قبل الثورة، فلما قامت اختار أن يقيم فى أوروبا، قال إنه حضر الجنازة فى روما، وقرأ له الفاتحة، ولم يكن معه سوى ابنه الأمير أحمد فؤاد، وإحدى بنات جلالته.

وكتب الصحفى الراحل «محمود فوزى» فى كتابه «حوار على نار هادئة» أنه اصطحب إبراهيم بغدادى إلى قبر فاروق بمسجد الرفاعى، وأخذ يحاوره وسأله: هل قتلته بالسم فى عصير البرتقال؟ فنفى.. ولكن وقتها قيل إن الملك اتصل بالأمريكان، وحامت حوله شبهة التفكير فى استعادة عرشه!

كما جاء فى محاكمة انحراف المخبرات بعد ذلك أن كمية من السم كان قد تسلمها «بغدادى» مثلما حدث مع آخرين!

ثم قال إبراهيم بغدادى للإعلامى «عمرو الليثى» فى برنامجه

«اختراق»: لا لم أقتله..

مات الملك -بالسم أو بغيره- وعمره ٤٥ سنة.

حكم اللواء «محمد نجيب» أقل من عامين اثنين، ومات وعن  
«٨٣» سنة.

ولكنه ظلّ شبه ميت سنوات طويلة حيساً في قصر مهجور دون  
اتهام محدد، فلما خشى النظام من استخدام قوات العدوان الثلاثى على  
مصر «١٩٥٦» لشخصه وإعادته حاكماً للبلاد بعد إسقاط عبدالناصر  
ورفاقه.. أخذوه بالقوة إلى الصعيد وعامله معتقلوه بخشونة، وعمدوا  
إهانته، وربما فكّروا في قتله وهم أقل رتبة، ومنهم من كان يعمل  
تحت قيادته في الجيش.. ويقال إنهم أذاعوا نبأ موته بينما هو أسير  
على قيد الحياة، لا يؤنس وحدته سوى مجموعة من «القطط» اختارت  
العيش معه!

كان «السادات» يزوره من وقت لآخر بإذن من عبدالناصر،  
وكانت عيناه تدمعان من سوء حاله، فاقترح الإفراج عنه، ولكن  
«ناصر» قال له: «اسكت إنت ما تعرفش حاجة»..

اقترح «السادات» أن يعود «نجيب» إلى بيته، وهو مسؤول عنه،  
فأجاب «عبدالناصر» ضاحكاً: «لشان تتفق معاه عليّ في الآخر؟!»،  
كانت وفاة جمال عبدالناصر المفاجئة صدمة للملايين وفرحة  
لخصومه..

بعد أن بذل جهداً فوق طاقة البشر، ونجح في وقف الحرب بين  
القوات الفلسطينية والجيش الأردنى في معارك أيلول الأسود، وقام  
بتوصيل أمير الكويت آخر ضيوف مؤتمر القمة الطارئ أحسّ بتعب  
شديد، وهو أصلاً مريض، فعاد إلى بيته في منشية البكري، وكان كبار

الأطباء الذين يشرفون على علاجه في انتظاره بعد أن تم استدعاؤهم على وجه السرعة.. ولكن القدر سبق، ولم يصدّق أحد، وكان رئيس قسم الأخبار بجريدة «الجمهورية» إسماعيل الشافعي يهمس لنا بالخبر وهو يتلّف خلفه، والأستاذان إبراهيم نوار وموسى صبرى تحدثا لحظتها تليفونياً دون أن يذكر اسماً، واكتفيا بسؤال غامض قصير: هو الخبر صحيح؟!

ثم كان وداع الزعيم الأسطوري، وتولى نائبه «السادات» بمساعدة الأستاذ «هيكل» الصحفى الأوحد المقرب من «عبدالناصر».. فلما اختلف «هيكل» و«السادات» بعد سنوات قليلة سمعنا قصة أخرى، بل اتهاماً!!

كتب الصحفى الكبير عندها أنه قبل يومين من انتهاء مؤتمر القمة، وكان يُعقد في فندق هيلتون، ذهب «عبدالناصر» إلى غرفته، ومعه أنور السادات؛ للقاء منفرد مع ياسر عرفات، بعده طلب فنجان قهوة، أصرّ السادات على إعداده له بنفسه، بعد أن صرف السفرجى.. كان فيه سم بطيء المفعول.. لم يقدّم هيكل اتهاماً صريحاً.. وليس ذلك سبب امتناع واحد من أطباء عبدالناصر التوقيع مع زملائه على تقرير سبب الوفاة.

هكذا انتشرت بعد سنوات حكاية موت «عبدالناصر» -أيضاً- مسموماً.

وبالمرة ظهرت قصة تفاح لبنانى مسموم جاءه هدية مع الوفد اللبنانى.. وقصة أخصائى العلاج الطبيعى على العطيفى الذى استُدعى لتخفيف آلام تصلّب شرايين ساق عبدالناصر، واستخدم زيتوناً بداخلها سمّ خفي، واتهم بأنه كان عميلاً لـ«إسرائيل»، وألقى القبض عليه وحوكم ومات في السجن، مما أثار مزيداً من الشكوك..

للدكتور «الساوى حبيب» كتاب عن «اللحظات الأخيرة في حياة جمال عبدالناصر» ..

مات وعمره ٥٢ سنة.. وانتشرت قصيدة «نزار قباني» قتلناك يا آخر الأنبياء:  
«قتلناك..»

وليس جديداً علينا  
فكم من رسول قتلنا  
وكم من إمام ذبحناه وهو يصلي  
صلاة العشاء  
قتلناك يا جبل الكبرياء  
وآخر قنديل زيت يضيء لنا في  
ليالي الشتاء  
قتلناك يا حبنا يا هوانا  
وكنت الصديق وكنت الصدوق  
وكنت أبانا  
كل الأساطير ماتت  
وبموتك انتحرت شهرزاد»

في عز انتصارات الرئيس أنور السادات قُتل وبأيدي جنوده وفي ذكرى يوم النصر ٦ أكتوبر، وبعد أن تأكد دوام حكمه بالتعديل الذى أقره مجلس الشعب، بإطلاق مدة حكم الرئيس بدلاً من تحديده بمدتين!

كان يرتدى الزي العسكري الأنيق الذى قيل إن بيت الأزياء  
الفرنسى الشهير «كريستيان ديور» هو الذى صممه، ومن حوله  
كبار مساعديه، والألعاب النارية تتلألأ فى السماء عندما بدأ العرض  
العسكري على الأرض، وعندما وصل قائد طابور المدفعية، ومن  
معه من راكبي الدراجات البخارية لتحية الرئيس القائد ومن معه فى  
المنصة، توقفت إحداها فبدا وكأنه عطل مفاجئ، فانشغل الحاضرون  
بها، بينما «خالد الإسلامبولي» ينتهز الفرصة، ويتقدم بسيارته العسكرية  
نحو المنصة، وفتح بابها، فتصوّر الجالسون أنه جاء للتحية، فإذا  
برصاص القناصة ينهال على الجميع، ويكون أنور السادات أول من  
قُتل!!

لا بأس من أن يقال بعد ذلك إنها دعوة الشيخ «أحمد المحلاوي»  
إمام مسجد القائد إبراهيم بالإسكندرية الذى سبق وقال عنه  
«السادات»: «مرمى زى الكلب فى السجن».. أو ظلم وقع على  
عشرات الرجال والسيدات الكبار فى السن وفى المقام الذين اعتقلهم  
«السادات» بالجملة!؟

مات أنور السادات عن ٦٣ عاماً.

لكنه اعتقلهم بالجملة يوم ٥ سبتمبر ١٩٨١ وكان عددهم ١٥٤٣ رجلاً  
وسيدة لهم ولهن تاريخ!

قالت جريدة الاخبار يومها على صدر صفحتها الأولى: «قرارات  
ضرب الفتنة».. وقالت الأهرام نفس المعنى.. اما الجمهورية فقد  
اختارت: «ثورة جديدة للسادات»!!

أما جريدة المساء فقد انتظرت يوم السادس من أكتوبر ١٩٨١  
لتحاول ان تطبع مبكراً فاستبقت الاحداث وكتبت - ولم يكن العرض  
العسكري قد انتهى والرئيس قد قتل - انه عاد الى قصره سالماً!

وتولى «حسنى مبارك» ثلاثين عاماً بعد أن تعرض كرئيس جمهورية  
لما هو أشد من القتل.. دخل السجن ودخل قفص المحكمة مستلقياً  
على سرير، وهى حالة لم نشهدها من قبل، فلم نعرف إن كان مريضاً  
إلى هذا الحد أم متهازماً يستجدى الشفقة؟

وفي مايو ٢٠١٧ احتفل بعيد ميلاده الـ ٨٩ ويستعد للتسعين.

أسدل الستار على حسنى مبارك حياً أو ميتاً.

وقامت ثورة، وجاءت ثورة وتولى «محمد مرسى (٦٦ سنة) أول  
رئيس مدنى لمصر بعد ثورة يوليو، ليحكم باسم الإخوان لعام  
واحد، لم يزد يوماً واحداً.. خرج من القصر إلى السجن.. أو على  
الأصح عاد إليه، ليحاكم هو وعشيرته، فهل يكون أول رئيس لمصر  
ينفذ فيه حكم الإعدام؟!

# طفى النور

زمان ونحن أطفال كنا نطوف جماعات في الحواري نلعب وننادى «طفى النور».. كذلك كان هناك شباب أكبر سنّاً يتطوعون لإرشاد الناس تفادياً لغارات وقنابل «الحاج» محمد هتلر، كما أطلق عليه بعض العامة، وما كان يروّجه مذيعون عرب من راديو ألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية.. وربما أيضاً كراهية للاستعمار البريطاني.. وكان شاويش الدورية المهاب يقوم بدوره في حفظ النظام إذا وجد خيطاً من نور يتسلل من شباك أطلق صيحته الشهيرة «هاع» فتنطفئ كل الانوار.

أنقذنا إطفاء النور من بعض قنابل الحرب.. ولكننا لم نجد وقتاً لذلك أيام حرب الأيام الستة، فقد كانت ساعات لم نسمع فيها سوى «صوت العرب» يُسقط طائرات العدو» على الهواء «بالجملة، ومقالات الأستاذ «هيكل» تسمى الوكسة «نكسة».

كانت الإذاعة وتليفون العمدة هما وسائل الاتصال الاجتماعى المتاحة.. حتى جاء التلفزيون أبيض وأسود بقنوات محدودة، تطفأ أنوارها قبل منتصف الليل.. فلما هاصت الدنيا وأصبح كل من يسمّى نفسه رجل أعمال عنده تلفزيون ملاكي، وتنافس الجميع على كل لون، أصبحت السهرة صباحي، والتوك شو السلاح الفعال الذى أدخلنا في عالم آخر.

فجأة تطفأ الأنوار عن نجم لامع فلا يلبث أن ينساه الجمهور، وذلك أفضل عقاب لا تسيل فيه دماء!

حدث هذا مع «محمود سعد» يقولون إنه زعيم ولا يسمع الكلام، ويقولون أيضاً إن التلفزيون وجع ظهره، فعمل عملية..

كتب زميل في «المصرى اليوم»: لم يتغير محمود سعد قبل الشهرة وبعدها.. أخطأ بحسابات خاطئة واعتذر، وماذا نريد بعد الاعتذار؟ لك الله يا «محمود» هو الأصلح والأبقى، أما هم فحسبى الله ونعم الوكيل، بحق!

و«معتز الدمرداش» الذى لا يُعرف سبب اختفائه؛ فهو ليس مشاغبا أو مغضوباً عليه.. فلما قدّم برنامج منوعات ضاحك لم يلقَ نجاحاً، والله الأمر.. حتى الشيكات التى أخذها أجراً كانت دون رصيد!

وقبله كان «باسم يوسف» الذى كان المشاهدون يسهرون على برنامجه «البرنامج»، نسيه الناس لما اختفى، لم يبقَ منه سوى تويتات متباعدة لا تسرّ ولا تضرّ!

كذلك أطفالاً والنور على «يسرى فودة» فنسيه جمهوره، ولم تُعده أضواء القناة الألمانية التى أعادته لجمهور غير جمهوره!

ولم تعد زميلته «ريم ماجد».. يقولون تزوجت بعد أن أسدل الستار!

ومحاولات لا تتوقف مع «إبراهيم عيسى»، وفي كل العصور..

وغاب «توفيق عكاشة»، ومن لم نعد نسمع عنهم مدحاً أو هجاءً.

ومن الكُتّاب اختفى «علاء الأسواني» -أو كاد- بعد أن ملأ الدنيا كلاماً، وقرأ الجميع روايته الأشهر «عمارة يعقوبيان» بكل اللغات، وتحديه على الهواء للفريق «أحمد شفيق» رئيس وزراء مصر وقتها، ومقالاته وندواته ومعارضته، حتى أطفئ عليه النور، فأصبحنا نسمعه

بصعوبة!

والكتّاب «بلال فضل»، و«عمرو حمزاوي»... وآخرون

وإجازة «فهمى هويدي» للتصنيف!!

ومن السياسيين: «البرادعي»، و«أحمد شفيق»، و«عبد المنعم أبو الفتوح»، وحتى «حمدين صباحي»، والناشطون السياسيون في السنوات القليلة الماضية.

وشباب ثورة يناير بالجملة! و«أحمد حرارة» و«نوار نجم» على سبيل المثال... وكل الشهداء.

أما «ليليان داوود» فقد كان أمرها سهلاً؛ لأنها لبنانية تم ترحيلها قبل أن يتجدد عقدها، فكان إطفاء النور في يوم وليلة!

كذلك يفعلها أصحاب محطات التلفزيون لسبب أو آخر، حتى ولو كان ثقل الدم أو أن يتعالى النجم، وينسى نفسه؛ فليس هناك كبير على أصحاب المحطة، إلا أن يتحملوا بعض الوقت إذا كانت هناك إعلانات على حسبه.. عندها تطفأ الأنوار في ثانية، والناس سرعان ما تنسى.

في فيلم أمريكي تقوم البطلة «باتريشيا نيل» بالبحث عن المواهب، فكتشفت شاباً واعداً في أحد السجون، قدّمته لمحطة إذاعية محلية، ونجح وأصبح محبوباً له جمهور عريض يسمع كلامه، لدرجة أنه عندما غضب من عمدة المدينة طالب محبيه عبر الميكروفون أن يأخذ كل واحد كلبه إلى مقر الحاكم لينبحوا؛ إهانة للعمدة، ففعلوا.. ازداد غروره وساء أدبه واحتقر مساعديه، فضاقوا به، وكان من عادته أن يسبّ مستمعيه بأحقر الأوصاف بعد الانتهاء من أغنيته، ولاطمئنانه أن الصوت قد أغلق.

تربص به مساعده، وتعمدوا ترك الميكروفون مفتوحاً عقب  
انتهاء برنامجه الغنائي، فسمع عشاقه شتائمهم، ورأيه الحقيقي فيهم..  
هكذا انفضوا عنه وخسر كل شيء، وعاد وحيداً منبوذاً في قصره الذى  
بناه بأموال من أحبوه يوماً.. لقد أطفأ هو الأنوار على نفسه!

إطفاء النور حل جميل وخبيث يتم وبراءة الأطفال فى العيون!

نشرت مجلة «خارج التغطية» - مشروع تخرج طلبة قسم إعلام  
بجامعة حلوان - أسماء الذين أطفئت عليهم الأنوار فى الإعلام،  
وهم: «محمود سعد، وسعد الدين إبراهيم، وإبراهيم عيسى، وتوفيق  
عكاشة، ورانيا بدوي، ودينا عبدالرحمن، وريم ماجد».

يرحم الله الكاتب السياسى «لطفى الخولي» الذى نحفظ من  
مسيرته «القضية»: نقفل الشباك ولا نفتحها؟!

وعجيبىي!

آه يا بلد

جابت ولد بمصاصة

ونفس البلد جابت

ولد مقتول بقناصة

وبنت زى الوتد

وبنت رقاصة

والكلب فىكى يعيش

والشهم يموت برصاصة

«صلاح جاهين»

## ضرب القباقيب

لم نعرفه من أيام «شجرة الدر» في الحمام، ولكننا شاهدناه بالخذاء في مجلس النواب.. والقصة طويلة ومملة وبايخة.

دعونا اليوم من «عكاشة» وجنانه... ومن الممثلة والضابط، ومن الطبيب وأمين الشرطة، ومن المذيعة في المحكمة. ومن عشوة الجمبري بثمانين ألفاً، ويقال خمسة عشر ألفاً فقط.

كدت أن أرتاح وأتصرف كما فعلت «شيرين آه ياليل»، ولو أنها عادت للطرب أى مثل «الأستاذ» عندما انصرف ولم ينصرف حتى لقي ربه لا بأس فتلك هى سنة الحياة.. لولا أننا ننشغل كل يوم بحكاية لا تساوي، فتتنا بنا الشكوك بأنه «لهو خفي»، وليس مجرد ضرب نائب بالخذاء.. وهات يا كلام وخصام وجنازات يشبع فيها الإعلام لظماً.

حكايات الخذاء لا يمكن حصرها؛ فهى من زمان.. ذلك أن أول مرة لبس فيها الإنسان خذاءً كان من آلاف السنين قبقاباً فرعونياً من ورق البردي، بعد أن كان من القش والطين؛ ليتطور مع العصور.. وعرفنا فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى لسيدنا موسى.. وللعرب عنه حكايات وأمثلة ونوادير.

ولماسح الأحذية مفاجآت، فقد انتخب شعب البرازيل واحداً منهم «داى سيلفا» رئيساً للجمهورية، وأصبح أحدهم بطلاً عالمياً للملاكمة «تايسون».. وكذلك كان الأديب المغربى محمد شكرى صاحب رواية

«الخبز الحافي»، و«حسين كيكا» الذى ظلّ فى نفس مكانه مع صندوقه طوال سنوات الحرب فى مدينة «سيراييفو» يجلس كل يوم فى شارع تيتو بعاصمة البوسنة، فاستحق تمثالاً؛ لأنه كان يبعث الأمل فى الناس المحاصرين، يقولون لأنفسهم كلما رأوه: لقد صمدنا يوماً آخر.. كرموه وأقاموا له تمثالاً من الخشب فى قلب المدينة، وأمامه صندوق مسح الاحذية، وأسطورة «حذاء سنديلا» بكل اللغات.

والشاعر الغاضب الجميل نجيب سرور يكتب:

أنا ابن الشقاء ربيب الزرية والمصطبة

وفى قرىتي عمدة كالإله يحيط بأعناقنا كالقدر

وذاك المساء أتانا الخفير ونادى أبى

رأيت الإله يقوم بخلع الحذاء وينزل كالسيل فوق أبى!! أهذا أبى؟!

والشاعر العراقى النائر أحمد مطر المقيم فى لندن كتب:

قال: ما الشيء الذى يهوى كما تهوى القدم؟ قلت: شعبي

قال: كلا.. هو جلد ما به لحم ودم.. قلت: شعبي

قال: كلا.. هو ما تركبه كل الأمم.. قلت: شعبي

قال: فكر جيداً.. فيه فم من غير فم ولسان موثق لا يشتكى غير

الأم.. قلت: شعبي

قال: ما هذا الغباء؟ إننى أعنى الحذاء.

قلت: ما الفرق؟ هما فى كل ما قلت سواء.

وختامه نزار قباني:

وإذا أصبح المفكر بوقاً

يستوى المفكر عندها والحذاء

وقصيدة «رثاء في حذاء» كتبها فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى عندما كان يحضر وأنيس منصور مؤتمر الخريجين في القدس، وبعد الصلاة في المسجد الأقصى لم يجد أنيس حذاه.

ويروى الدكتور «مصطفى الفقي» أنه ذهب يصلى الجمعة في الحسين مع الرئيس الأسبق «مبارك» فلما خرج بعد الصلاة لم يجد حذاه، قال إن المؤمن مصاب.

وسرقوا حذاه أيضاً بعد صلاة الجمعة في مسجد ناصر بدمنهور، فكتب الناقد والشاعر جابر قميحة: «سأظل بعدك حافياً. فأنا الوفي أبو الوفاء».

وتنتشر حواث سرقة الحذاء بعد صلاة الجمعة، ولا يهم أن كان صاحبه مديراً للأمن أو محافظاً.. وفي مسلسل «صاحب السعادة» لعادل إمام سرقوا حذاء وزير الداخلية «خالد زكي»، فلبس فردة بيضاء والأخرى ألوان!

واستحق الإعلامى السورى «شادى حلوة» الضرب بالحذاء على الهواء أثناء إذاعة برنامج من شوارع مدينة حلب وسط هتاف «الإعلام السورى كاذب».

أما البرلمان المصرى فقد سبق وشهد محاولات الضرب بالحذاء تحت القبة.. ولكنها جميعاً لم تصل إلى ما فعله النائب كمال أحمد بالنائب توفيق عكاشة!!

هل يدخل الصحفيون الجنة؟!

ماذا أفعل؟ هل أعتزل وأنتظر حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً  
بعد عمر قريب، أم أواصل حتى ولو وهن العظم منى وضعف  
البصر أو كاد يزول؟ ناهيك عن ألزهايمر!!

وكان خبر وفاة صحفية عالمية عن عمر مائة وخمس سنوات قد  
جاء في موعده.. هكذا يظل زملاء الكبار سنّاً كابسين على أنفاس  
الشباب، والقراء!!

لم يخترع فزورة إحالة الصحفيين للمعاش عند سن الستين إلا  
الرئيس «السادات»؛ لعله يتخلص من أراذلهم.. كان المقصود بالذات  
مصطفى أمين وجمال الدين الحامصي فإذا بهما أكثر شباباً وهجوماً..  
أما الذين تحمّسوا للقرار مثل موسى صبرى وأئيس منصور فسرعان  
ما لحق بهما سنّ المعاش!

بدأت كليير هولين عملها بأكبر سبق صحفى عالمي، وهو خبر  
إعلان الحرب العالمية الثانية، وإن جاء ذلك بالصدفة.. كان عمرها  
٢٦ سنة عندما ذهبت إلى الحدود الألمانية البولندية في مهمة إنسانية؛  
لرعاية لاجئين يعانون من ضعف القدرات الذهنية والمصابين بالعمى  
والصمم، فرأت الدبابات الألمانية تتحرك عبر الحدود، وكان ذلك  
بداية الغزو والحرب العالمية الثانية.. أرسلت الخبر الخطير إلى صحيفة  
«الديلي تليجراف» البريطانية ليحتل العنوان الرئيسى للصفحة الأولى،  
ويصبح حديث العالم كله.. وقد تذكّرت الصحيفة عند الاحتفال  
مؤخراً بمرور سبعين عاماً على تلك الحرب.

عاشت سنوات طويلة مراسلة في الشرق الأوسط، وأقامت في  
كل من بيروت والقاهرة، وأجرت أحاديث مع الملوك العرب وشاه  
إيران عندما تولى الحكم، وبعد أن أسقطته الثورة الإسلامية، كذلك  
مع زوجته الأولى الأميرة فوزية.. وكشفت الجاسوس السوفيتي كيم

فيليبى وهروبه من بيروت إلى موسكو، وكان مراسلاً صحفياً بريطانياً في العاصمة اللبنانية.. وكانت الوحيدة التى غطت حرب الحدود بين الهند وباكستان بعد أن منعت الهند تواجد المراسلين الأجانب، ولكنها كانت صديقة لأنديرا غاندى وزيرة الإعلام وقتها.. ونجت بأعجوبة من انفجار عنيف في فندق الملك داود بالقدس راح ضحيته مائة شخص عام ١٩٤٦ عزّ عنف الصراع الفلسطينى الإسرائيلى.

اختارت أن تقضى بقية عمرها في هونج كونج..

حاولت طوال سنوات عمرى أن أكون منحازاً للبطء لعلى أدخل الجنة.. ولكن هل يدخل الصحفيون الجنة، أم إن الصحف والتوك شو، وما أشبه لا تصدر إلا في نار جهنم وبئس المصير!؟

يمكن أن يدخل بعض الكتاب والنواب والصحفيين والإعلاميين الجنة «إذا اعتزلوا».

فاعتزلوا، وأنا أولكم، يرحمكم الله.

من يدخل الجنة؟

\* كتب الأديب ابن الأديب الساخر الجميل الراحل، ومن أعماله «نبش الغراب»، و«كل العائلة أدباء»، كتب محمد محمد مستجاب في عزاء الرائع علاء الديب: سبعة سيدخلون الجنة أولهم يوسف إدريس؛ لأنه يوسف إدريس، وسابعهم بهاء طاهر؛ لأنه نقى وبهى وطاهر، وفي المنتصف يقف محمد مستجاب الذى يدخلها؛ لأنه أبى، والخامس والسادس الراحلان خيرى شلبي، وإبراهيم أصلان، يسبقهم علاء الديب؛ لأنه حنون وطيب وبشوش وابن ناس طيبين، ولأن اسمه علاء الدين حسب الله الديب -رحمه الله- وأخاه الأكبر صديقى بدر الدين حسب الله الديب.

# اختفاء غامض لصحفي مصري

ما زالت القصة غريبة ومريبة رغم مرور سنوات طويلة على الاختفاء الغامض للصحفي المصري «رضا هلال».

اختفى كثيرون قبله، وما زالت نفس الجريمة تُرتكب بصورة مختلفة داخل السجون وخارجها، والقاتل المعروف دائماً مجهول.

خرج من مكتبه في جريدة «الأهرام»، كعادته متجهاً إلى منزله في شارع إسماعيل سري بمنطقة قصر العيني، واتصل وهو في الطريق بمطعم أبو شقرة يطلب موزة بالفتة.. وصل البيت ولم يصعد إلى شقته؛ إذ كان هناك من ينتظره ليختطفه في لحظات.. هكذا اختفى رضا هلال إلى الأبد.

تردد أنهم أخذوه للتأديب في جابر بن حيان مركز أمن الدولة في الجيزة، ولكنه مات -أى قُتل- بين أيديهم، وتم إخفاء معالم الجريمة بإذابة جثته بالجير الحي، ودفن بقاياها في مكان مجهول.

وقيل إنه شوهد محتجزاً في سجن برج العرب بالإسكندرية.

أو أدخلوه مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية تحت اسم مستعار.

وخرج من يروج بأنها لم تكن جريمة سياسية، وإنما نسائية!

ولم يكن كل ذلك صحيحاً، بل شائعات للتمويه وإبعاد الأنظار عن الجريمة الحقيقية المتهم بارتكابها أكابر وحكام ومسؤولون!

بعد قيام ثورة يناير وسقوط مملكة «مبارك» و«العادي» تقدم أسامة

هلال المدرس في السنبلولين الثانوية ببلاغ للنائب العام؛ لفتح التحقيق في اختفاء شقيقه «رضا».

وجدوا مكالمة هاتفية مسجلة على الأنس ماشين بصوت سيدة: «ممكن لو سمحت تفتح التلفون عشان عايزة أتكلم معاك».

ومكالمة ثانية: «مساء الخير. وليه دا كله. «مبارك» وعائلته وأنا معاهم. ما كانش فيه داعى لكل ده.. لا دى الطريقة ولاده الأسلوب.. عيد سعيد، كل سنة وانت طيب. سلام. باى باى».. ولم يكن هناك أية أعياد في ذلك الوقت!

اتهموا إلهام شرشر زوجة حبيب العادلي والصحفية بالأهرام بأنها صاحبة الرسالة.. ولكنها أنكرت تماماً، بل وتوعدت من اتمهما بمقاضاته، غير أن التقرير الفنى من خبراء الأصوات في الإذاعة أكدوا أن الصوت في التسجيل يطابق تماماً صوت إلهام شرشر.

كانت محررة بقسم الحوادث في «الأهرام»، تزوجت «أشرف السعد» رجل الأعمال وتوظيف الأموال الذى اضطر لمغادرة مصر تاركاً لها شقة في الزمالك تطل على جنية الأسماك وورقة طلاق.

وكان اللواء حبيب العادلي قد أصبح وزيراً للداخلية في أعقاب الحادث الإرهابى الشهير بالدير البحري، الذى راح ضحيته عشرات السياح معظمهم سويسريون، وأطاح بوزير الداخلية وقتها اللواء حسن الألفي.

وماتت زوجة «العادلي»، وأراد ان يتزوج فتاة مغربية، ولكنه اضطر لطلاقها بالأمر؛ لأسباب أمنية.. فلما تحوّل للزواج من الصحفية إلهام شرشر نصحه زكريا عزمى بأن يستأذن «الهانم»، فأذنت له سوزان مبارك.

تقدمت «إلهام» بطلب إجازة بدون مرتب من «الأهرام» طالت سنوات، إلا أنها ظهرت على غلاف مجلة «نص الدنيا» مع حديث أجرته معها «حنان مفيد فوزي»، ووصفتها بأنها سيدة مصر الثانية، وهو ما لم يغضب سيدة مصر الأولى!

كان «رضا» ماركسياً، وهو طالب بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ثم تحول إلى الفكر الليبرالي، صديقاً للسفير الأمريكي وقتها «دافيد وولش»، وهناك من اعتبره رجل السفارة الأمريكية في مصر.. وقد كان من رتب إجراء حديث صحفى نشره «الأهرام» مع نائب الرئيس الأمريكى «ديك تشيني» عن غزو العراق أيام جورج بوش.. كتب مقالاً هاجم فيه الناصريين بعنوان «أرامل صدام».. وقيل بأن الرئيس مبارك قال: لا نريد «سعد الدين» آخر!

كان يؤيد التطبيع مع «إسرائيل».. قال عنه الكاتب المسرحى على سالم الذى كان يجلس معه كثيراً فى مقهى «فايف بيلز» بالزمالك إن رضا هلال مات من الخضة.

كان دائم الهجوم على جمال مبارك بألفاظ وصفات بالغة الإهانة.

هكذا تعدد خصومه، وربما تعمّد من يهمله الأمر أن يتفرّق دمه بين القبائل!!

لم تنشر الصحف المصرية ومن بينها «الأهرام» خبر اختفاء رضا هلال إلا بعد يومين، وبشكل متواضع.. بينما كانت صحيفتا «الحياة» و«الشرق الأوسط» السعوديتان الصادرتان من لندن أول من نشر الخبر، وقبل الصحف المصرية.. لعل المانع كان خيراً!

وخير تعبير على ردّ فعل الصحف المصرية هو قول إبراهيم نافع رئيس مجلس إدارة وتحرير «الأهرام» الذى كان يعمل به رضا هلال فى

منصب كبير، عندما سئل «نافع» قال: لا أعلم بالأمر!!

بعد فترة أصدرت إلهام شرشر صحيفة «الزمان» رئيسة لتحريرها، ومعها مفيد فوزي، والشيخ خالد الجندي، أما مستشار التحرير فكان مكرم محمد أحمد، ولكنه سرعان ما أعلن أنه لم يفعل أكثر من الكتابة في الجريدة مجاملة لحبيب العادل المسجون، ولزميلته في «الأهرام» إلهام شرشر.

في كل الأحوال لم يصدر من جريدة «الزمان» سوى ثلاثة أعداد، كانت تحفل بصفحات دينية كاملة تكتبها رئيسة التحرير التي تحجبت وتصوّفت!

# الصحفيون «لا» يجبون تدقيق المعلومات

نشرت جريدة الاهرام تحقيقا مصورا عن «قصر المنتزه» قالت فيه ان القصر بناه محمد على باشا»

لم يسكت «عباس الطرابيلى» الكاتب الذى يدقق ويبحث ويمحص حارسا للتاريخ إلا اذا كان الحديث عن حزب «الوفد» أو عن «جمال عبد الناصر»!

نشر مقالا فى «المصرى اليوم» بعنوان غاضب مثير: «الاهرام وجهل بعض محرريها» أكد فيه ان من شيد قصر المنتزه هو «عباس حلمى الثانى» والذى كان يعيش التجول فى شرق الاسكندرية؛ عندما يزورها كان يركب القطار الى آخر خط الرمل الحديدى ومن هناك يركب الجمال والحمير على شاطئ البحر» وفى ليلة قمرية -يقول« احمد شفيق باشا فى «مذكراتى فى نصف قرن»- أنه فى السنوات الاولى لتوليه العرش امر بإعداد ٨٠ حمارا ليركبها هو ورجاله ليلا فى الصحراء على شاطئ البحر ترافقه فرقة موسيقية. وعندما توقف الركب لاستراحة افتتن الخديوى برايتين وأمر ببناء قصر «السلامك» على واحدة منهما لنفسه؛ وعلى الرابطة الاخرى «الحرمك» وانهى عباس مقاله بانه لو كان من الاهرام لعاقب محرر الموضوع «إبراهيم محمود»- الذى اتضح انه لم يكتب ان محمد على باشا هو من بنى قصر المنتزه؛ فقد أضافها أحد المراجعين من عنده!

تداعيات الامر وصلت الى نشر اعتذار من المصرى اليوم للاهرام في صدر الصفحة الثالثة التى تقوم مقام الصفحة الاولى في صحف هذه الايام تؤكد فيه تقديرها للأهرام «العريقة» بيت الصحفيين الكبير الذى يرأس مجلس ادارتها نقيب الصحفيين «المنتخب»؛ وأن ما كتبه عباس الطرابيلى هو رأيه الشخصى؛ وان المصرى اليوم «اكبر» الصحف المستقلة ملتزمة بعدم تصيد الاخطاء غير المقصودة لأى صحيفة

لم يكن عباس يعلم بنبأ الاعتذار ولم يُعرض عليه قبل نشره كما تجرى- او كانت تجرى- التقاليد الصحفية.. غضب حتى عرف ما بين السطور؛ ووراءها!

ثم كتب مقالا عنوانه «عندما صححت يوميات العقاد» صاحب العبقریات؛ وكان عباس محررا مبتدئا طالبا بالجامعة يعمل بقسم تصحيح المعلومات بأخبار اليوم.. كان يرأس القسم أستاذ الاعلام المعروف الدكتور «احمد حسين الصاوى» واعضاؤه الدكاترة «حسين نصار وصبحى عبد الحكيم وأحمد كمال زكى وحلمى عبد الرحمن» أختتم عباس مقاله الثانى بقوله «إذا كانت الأهرام قد أصابها بعض الرذاذ فهذا قدرها بحكم أنها أقدم وأعرق صحف مصر لأنها تسجل للتاريخ»

ثم كتب تبقى الحكمة القائلة «وقسا ليزدجروا» على أمل الإصلاح.. ليس إلا.

نسى عباس أن يضيف سطرًا يقول فيه: ومع ذلك يبقى أن من بنى قصر المنتزه هو عباس حلمى الثانى وليس محمد على باشا!!

كان «أنطون باشا الجميل» من أهم رؤساء تحرير الأهرام يقول: من لم ينشر اسمه في وفيات الأهرام.. لم يمت!!

ومع ذلك لم تحاول صحف أخرى أن تعيد أقسام تصحيح المعلومات؛ بل أن هناك من يكره التصحيح وتدارك الخطأ ولو بالسهو والنسيان «يتيه بجهله» كما قال «طه حسين» عندما كان أحد رؤساء تحرير جريدة الجمهورية عندما كتب أديباً له روايات جميلة؛ ولكنه يصر على كتابة مقالات لا لزوم لها؛ وصف في إحداها أبطال الأساطير الإغريقية بأنهم عفاريت. غضب طه حسين وأصر - رغم كل المحاولات لترضيته - أن يرد على صاحب العفاريت في الصفحة الأولى للجريدة وصفه فيها بقوله «رضى بجهله ورضى جهله عنه».

# شكراً أيها السادة النواب

تصورت أن من واجبي تسجيل أسماء النواب الذين تمسكوا بمصرية جزيرتى تيران وصنافير.

سألت صحفياً شاباً، فبادر مشكوراً بإرسال القائمة مطبوعة، ولكننى عندما راجعتها وجدت اسمين مكررين، فداخلى الشك ليس فى صدقها، وإنما فى أن تسقط بعض الأسماء سهواً.

لجأت لصديق ليس صحفياً، وإن كانت له علاقات طيبة بكثير من أكابرهم، فاختار أن يسأل صحفياً ونائباً ممن وقفوا مع مصرية تيران وصنافير.. وعدّ الزميل خبراً، واقترح الاتصال بنائبة تعرف أكثر، وقد كان لها نشاط معارض ملموس بالكلام ورفع اللافتات، وحتى البكاء.. باءت المحاولة بالفشل؛ لأن النائبة لا ترد.. فى اليوم التالى عاد صديقى لصديقه النائب الصحفى فاعتذر وغضب، وقال: أنا عندى القائمة، والصحح تتكرم مديرة مكتبك بإرسال من يأخذها.. كان رده: أصل أنا فى المجلس، وعموماً سأعطيك اسم نائبة أخرى متحمسة اتصلى بها.. فكانت نفس الإجابة المثيرة مع سؤال تكرر: هو الأستاذ عايز القائمة ليه؟ قال الأستاذ -وهو أنا- أريد نشرها فى كتاب أستعدّ لإصداره؛ تكريماً للسادة النواب وتسجيلاً لموقفهم.. غير أننى اعتبرت السؤال غريباً مريباً.

شكراً أيها السادة النواب!!

أعرف أن النائب «علاء عبدالمنعم» لم يكن واحداً منهم، ولا بد أنه كان سوف يسبقهم لولا أنه فى العناية المركزة.. شفاه الله.

والنائب «كمال أحمد» المعارض من أيام السادات والرافض لاتفاقية كامب ديفيد مع ١٤ نائباً محترماً آخرين لم يوقع على مصرية الجزيرتين، فهل كان يستحق السب والشتم له ولأبيه من نائب شاب متحمس مجموعته التي زادت عن المائة وتساءل: هو الأستاذ عايز القايمة ليه؟!!

انتظرت حتى احتفلنا بعيد البرلمان لعل أحداً يذكر فرسان المعارضة «نبض الحياة النيابية»، أو بعضهم على الأقل، لكننا نسيناهم، وسوف أنسى أنا أيضاً. فعبارة «نجيب محفوظ» الشهيرة أصبحت هذه الأيام أكثر انتشاراً.. وكأننا نعيش في حارة النسيان!  
من أين نبدأ؟ كلهم أبطال صنعوا لنا الحياة..

هل أبدأ بعلوى حافظ نائب الدرب الأحمر، وهو من الضباط الأحرار..

هاجم أكابر القوم وأتهمهم بالفساد.. كان أشهر استجواب له في البرلمان عن عصابة «الأجنحة الأربعة»؛ قال للدكتور «عاطف صدقي» رئيس الوزراء وقتها: «أنت رئيس حكومة فاسدة. اللصوص يحكمون مصر.. ما حدش هينفعكم ولا الرئيس».

أحيل النائب إلى لجنة القيم التي حرمته من حضور عشر جلسات.. ضيقوا عليه الخناق بالأغلبية ولائحة المجلس، وعدم النشر في الصحف

والمستشار «ممتاز نصار»، ويرتبط اسمه برفض معاهدة «كامب ديفيد» وإنقاذ «هضبة الأهرامات» من البيع (ولا بد أن نذكر المعارضة الشرسة من خارج المجلس التي أعلنتها بإصرار، وتحملت العنت في سبيلها؛ الدكتورة «نعمات أحمد فؤاد» أول من أثار موضوع بيع أرض مصر في حرم الهرم، وعندما توفيت لم نودّعها الوداع اللائق بها).

كان «على صبري» نائب رئيس الجمهورية أيام «جمال عبدالناصر» يكتب مقالاً يومياً في جريدة «الجمهورية» - قيل إن إعلامياً شهيراً وقتها كان هو الذي يكتبه من أفكار نائب الرئيس - كتب في إحداها عن ضرورة انضمام القضاة للاتحاد الاشتراكي، ووصفهم بأنهم يعيشون في أبراج عاجية، وأن فيهم بقايا الإقطاع والرأسمالية البغيضة..

استدعى «على صبري» المستشار «ممتاز نصار»، وكان رئيساً لنادى القضاة، يدعوه لدخول الاتحاد الاشتراكي، ولكنه اعتذر أي رفض، فلما أصبح نائباً قاد هو و ١٤ نائباً حملة الهجوم على كامب ديفيد.. وكان الحل هو حل المجلس وإجراء انتخابات جديدة يتم فيها التخلص من النواب المشاغبين الذين دخلوا الانتخابات فيما عدا الدكتور «حلمى مراد» وقد نبه زملاءه لنية التزوير، وقد سقطوا جميعاً إلا المستشار «ممتاز نصار»؛ إذ قامت عائلته العريقة في «البداري» وأنصاره بحراسة صناديق الانتخابات بالسلاح وبأجسادهم، يواصل وحده دور المعارضة الشرسة.

أما «حلمى مراد» الذى كان وزيراً للتعليم فناقش زميله وزير العدل في اجتماع لمجلس الوزراء حول مغزى «استقالة!» عدد من القضاة، فاعتبروه تدخلاً في أمر خارج اختصاصه.. التقى به الرئيس «عبدالناصر»، وسأله عما حدث، فقال له: نحن معنيون بمصلحة الشعب، وأزمة القضاة سوف تنفجر، ويجب علاجها قبل أن تصبح مذبحة.. استمع له «عبدالناصر» ثم باغته متسائلاً: هما القضاة هيه خوفونا؟ ردّ حلمى مراد: أى عربجى فى مصر صاحب حق يخوفنا.. انزعج «عبدالناصر» من كلام الوزير.. وقرأ الناس نبأ إقالة وزير التعليم فى صحف الصباح.

دخل «حلمى مراد» زنازين كل الرؤساء

وكان معاضاً شرساً لكامب ديفيد في مجلس الشعب إلى جانب خالد محيي الدين، وممتاز نصار، ومحمود القاضي، وعادل عيد، وكمال أحمد، وأحمد ناصر، وأحمد طه، وصلاح أبو اسماعيل، وقبارى عبدالله، وأبو العز الحريري، ومحمود زينهم... وآخرين».

وعارض بالمقالات التي ينشرها من نوع «الوضع الدستوري لحرم السيد الرئيس».. لم يترك فرصة أو وسيلة لمحاربة الفساد إلا وانتهزها.. حتى دخل معتقل سبتمبر الشهير الذي ضم أكثر من ١٥٠٠ شخص من مختلف التيارات الوطنية.

وأستاذ الهندسة الدكتور «محمود القاضي» الذي قدّم ٧٦ اسجواباً ضد الفساد، ودخل السجن ٩ مرات.. وأحياناً كان نواب الأغلبية يغنون بقيادة «فايدة كامل»: «بلادى بلادى، فترة المعارضة: والله زمان يا سلاحى، قبل أن ينسحبوا من الجلسة».

و«أبو العز الحريري» مناضل من شبابه حتى عدوان الإخوان عليه في شيخوخته.. كان يذهب لصلاة الجمعة بمسجد «السمك» في «غيط العنب» بالإسكندرية، ومعه شعار حملته الانتخابية: فوطة، وصابونة، وشبشب لزوم الاعتقال الوارد حدوثه في أى لحظة.. في البرلمان كشف صفقة شراء «أحمد عز» شركة حديد «الدخيلة»، وآخر مرة اعتقل فيها كانت في سبتمبر الشهير.. قال قبل أن يترك الدنيا: «مضى العمر ويبقى الوطن».

والمجاهد «إبراهيم شكري» معارض قديم من قبل ثورة يوليو، وواصل بعدها.. طالب بتحديد ملكية الأرض الزراعية أيام الملك، وكان من أسرة تملك أراضى واسعة.. واتهم بالعيب في الذات الملكية بعد أن قال: «وجودنا في السجن دفاعاً عن حرية الشعب أفضل من نزهة بحرية على أفخر نخت في العالم» (يقصد رحلة الملك فاروق على

متن فخر البحار).

و«عزيز فهمي» نائب الجمالية الشاعر والفنان الوفدى الذى وقف ضد قانون الحد من حرية الصحافة الذى قدمته حكومة الوفد؛ حماية للملك، بعد أن كثرت الأخبار المسيئة لجلالته بمشروع قانون قدّمه نائب وفدى آخر هو «أسطفان باسيلى» الذى أصابه الخنزى والعار والندم طوال حياته.. ووقف نواب وفديون آخرون إلى جانب عزيز فهمي، ومنهم «رفيق الطرزى، وإبراهيم طلعت، ومحمد بلال»... كما نشرت صحيفة «المصري» الوفدية بطول وعرض صفحتها الأولى صورة باسيلى مجللة بالسواد..

كان أبوه «عبدالسلام باشا فهمي جمعة» رئيساً لمجلس النواب، فاعترض على شدة حماس ابنه النائب واسترساله.. ردّ عليه عزيز: أنت أبى فى البيت، أما هنا فإننى أمثل الشعب الذى انتخبني.  
من شدة عشقه للنيل سقط فيه بسيارته.. رحمه الله.

أما «كمال أحمد» الوحيد من جيله الذى ما زال يعارض فى مجلس النواب الحالى، وقد اشتهر أيام السادات بـ«البيضة» التى أخرجها من جيبه، والرئيس يلقى خطاباً أمام النواب، وصرخ: البيضة بقت بكذا (لا أذكر الرقم، ولكنه أراد أن يدلل على الغلاء).. قال السادات بصوته المتميز: عيب يا «كمال».. أنت فى حضرة رئيس الجمهورية.. إلى جانب معارضته لكامب ديفيد تقدم باستجابات عن غرق العبارة وسوء إدارة المال العام فى توشكى وبيع عمر أفندي.. واشتهر بحذائه الذى ضرب به النائب «توفيق عكاشة»؛ لأنه دعا السفير «الإسرائيلى» إلى بيته..

وكان قد قدّم استقالته من المجلس (التى رفضها الأعضاء متمسكين به) رغم أنه قال: «ده مش برلمان ده شادر بطيخ»!

غير أننا لم نسمع صوته عند مناقشة قضية تيران وصنافير في مجلس النواب الأخير.. لعل المانع خير!

تبقى واقعة الصفع والضرب وأقذر السباب عندما كان مجلس الشعب يناقش استجواباً عن سوء معاملة المعتقلين، وقام اللواء «زكى بدر» وزير الداخلية وقتها بالرد الذى بدأه بالآية الكريمة: {وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، ألا إنهم هم المفسدون}... وقدم تسجيلاً بصوت الصحفى «أيمن نور» ثبت تزيف الصور التى نشرتها له صحيفة «الوفد»، وأثار التعذيب الشديد بادية على جسده، وأعلن عن تسجيل يؤكد فبركة صور التعذيب باعتراف أيمن نور للصحفى مصطفى بكري.... ثم تطرق إلى زعيم الوفد «فؤاد باشا سراج الدين» ومديرة منزله السيدة «ليلى المغازي»، و«إسماعيل الواد الطري» الذى يتردد على البيت.. صرخ النائب مصطفى برهام: كلام فارغ..

واندفع النائب «على سلامة» نحو الوزير منفِعلاً، فقال له: «اسكت يا علي».. ردّ عليه: إنى بتقولى يا علي؟! قال زكى بدر: طيب اسكت يا على بيه!

كانت جلسة صاخبة «٢٠ فبراير ١٩٨٩»، زادها اشتعالاً اندفاع النائب «طلعت رسلان» ليفاجئ وزير الداخلية بصفعة على وجهه، وقد حاول الوزير بدوره أن يرفع حذاءه ليضربه به.

ساد هرج شديد وسمعت شتائم بذئنة واخرس يا كلب وسب الدين.. وخرج من يقول: بل الوزير هو الذى ضرب النائب!

اتخذ المجلس قراراً عاجلاً برفع الحصانة عن النائبين، وإسقاط عضويتها.

كنت أعرف «رسالن» و«سلامة» قبل أن يُنتخبا في مجلس الشعب؛  
لأنهما كانا وعدداً من الوفديين جيراننا في العنبر المواجه لنا داخل  
سجن مزرعة طره، وكان سبب اعتقالهم السير في جنازة زعيمهم  
مصطفى باشا النحاس!!

# كل كلاب الرئيس

عاد أخيراً إلى بيته بعد «شحطة» بين القصور وشرم الشيخ والسجون ومستشفى المعادى العسكري.. استقرّ في فيلا هليوبوليس المواجهة لقصر الاتحادية المفضلة لديه بعد براءته من سفك دم الشوار.. في انتظار حكم عليه فيما يسمى بهدايا «الأهرام»، وهى قضية فساد اشتركت فيها كل الصحف، والأدلة على ارتكابها ساعات وكرافات ماركات ومجوهرات للهوانم وزراير قمصان ذهب للرجال، وقائمة طويلة لسنوات طويلة من تقديم آيات الشكر والعرفان تصعب فيها البراءة، مثلما حدث لكل من اتهموا في قتل المتظاهرين، ليبقى السؤال الحائر قائماً: من القاتل إذن؟!

الحكم يأتى وفقاً لتوصيف التهمة والأدلة المقدمة، وهناك دراسات قانونية ترى أن القاضى حكم بالبراءة وفقاً للأوراق المقدمة، وأقوال الشهود.. كل الذى رأيناه: تسجيل من قلب المعركة عليه مشاهد من فيلم «الباشا تلميذ» لكريم عبدالعزيز..

حرصت الصحف على أن تنشر على صفحتها الأولى، وفي العنوان أن أول إفطار للرئيس الأسبق وأسرته في فيلا هليوبوليس.. كان «فول وطعمية»!

لم يعد في حاجة لدخول القفص على سرير متنقل.. هل كان مريضاً إلى هذا الحد، أم إنها نصيحة المحامى القدير فريد الديب؟!

صحته جيدة، وهو يقترب من سن التسعين، وتبدو عليه الثقة بالنفس والرضا وسط أسرة متماسكة، يربط الحب والاحترام بينها سواء أقاموا في بيت واحد بعمارة الخبراء الروس الشهيرة في شارع عبدالعزيز فهمى فوق سور ماركت إكسبريس الشهر الذى أغلق أيضاً أبوابه.

لعل اسم الشارع على أشهر القضاة وقطب حزب الأحرار الدستوريين أيام الملك، وهو من أعيان قرية كفر المصلحة التى جاء منها حسنى مبارك، وهو الذى ساعد على إدخال ابن قريته الفقير الكلية الحربية بشروطها المستحيلة على شاب من طبقتهم.

عبدالعزيز باشا فهمى ساعد كل أبناء قريته في تعليمهم، فلم يعد بها وقتها أمياً واحداً في زمن كانت الأمية متفشية في البلاد.. ويقال إن الباشا عمل على إيجاد وظائف لهم جميعاً، حتى حمير البلد وجد لها عملاً في الحكومة؛ إذ كانت مصلحة البريد تستخدمهم في نقل البوستة إلى القرى والكفور!!

وعندما أصبح أبناء «مبارك» شباباً اتجه «علاء» للبيزنس مع أنه لم يدرس الاقتصاد، وانغمس «جمال» في السياسة، مع أنه رجل بنوك.. وانتقل الاثنان إلى مكاتب وشقق في شارع نهرو القريب من سكن الأسرة.. وهو شارع يطل على حديقة المريلاند أطلق عليه العامة اسم شارع «الأنجال»؛ لأنه بدأ بعدد من الفيلات لأبناء الرئيس الراحل جمال عبدالناصر، وعدد محدود من أصحاب الخطوة والسلطة.. صحيح أن «عبدالناصر» أصر على دفع الثمن ولو بالتقسيم المريح، وكانت النية أن تكون هدية من شركة المقاولات التى قامت بنائها.. أما الذى بقى لسنوات ولم يتغير إلا بعد تولى «السادات» هو أنه لم يسمح لأحد آخر أن يبنى في الشارع، فيبدو منتجعاً خاصاً محرماً على

المصريين، وإذا اشتاق أحد سكان الشوارع المجاورة أن يشم الهواء يتعرض للمساءلة، وإظهار تحقيق الشخصية، أو أن يعود من حيث جاء!

ودارت الأيام، وقامت العمارات خمسة أدوار فقط، ثم ناطحات سحاب، وبيعت فيلات الأكاير، وأخيراً أصبحت الحديقة محرمة على الجميع، تقطع أشجارها النادرة، ويمنع الدخول إليها بما يوحى بأنها أصبحت إقطاعاً خاصاً.. يقول المسؤولون إنه تطوير للمريلاندا!!

آخر كلام في تصريح رسمي أنه سوف تقام دار للأوبرا في بقايا الحديقة!! اذنى عقلك!!

كان سكن أبناء مبارك في نهر و استمرراً لتسميته شارع الأنجال حتى قضى الأمر، وعندما انتقل «علاء» و«جمال» إلى القطامية؛ المكان المختار لعلية القوم الجدد.. لم يغب واحد منهما عن أبويه، حتى ركبت الأسرة كلها الطائرة التي أقلعت بهم معاً إلى فيلاتهم في شرم الشيخ، بعد تنحى الرئيس في أعقاب ثورة يناير.

ولقد أشعل الأحفاد مزيداً من الحب، وكان لميلاد أولهم محمد علاء ثم وفاته طفلاً في العاشرة من عمره تأثير شديد على نفسية وتصرفات جده الرئيس.. احتفل بعيد ميلاده وسط أحفاده، بينما حركة «٦ إبريل» تغنى «عيد ميلاد أبو الفساد»!

أملى حسنى مبارك فصلاً من مذكراته سجّلها اللواء سمير فرج الذى اشتهر أكثر بتولييه رئاسة مجلس مدينة الأقصر، ثم محافظاً لها.. هذا ما يفعله الرؤساء في نهاية المشوار.. بدأ تسجيلها عام ١٩٩٨ (١٨ حلقة طولها ٥٤ ساعة)، كان يسلمها أولاً بأول لـ«جمال».. ولا أحد يعرف ماذا سوف يفعل ابن الرئيس الطموح بمذكرات أبيه؟

أما سمير فرج فضابط مخابرات حربية حصل على ليسانس في التاريخ من جامعة عين شمس، وأثار جدلاً عندما اشترك في حوار تلفزيوني مع أرييل شارون أجرته «بى بى سي» في أعقاب حرب أكتوبر.

يقول محفوظ الأنصارى الصحفى المقرب من الرئاسة إن جمال مبارك اتصل به في صباح باكر ليسأله: إيه اللي أنت كتبتة في الأهرام اليوم مانشيتات على نص صفحة جميعها خاطئ وكاذب؟ قال «محفوظ»: أنا لا أكتب في الأهرام، وإنما في وكالة أنباء الشرق الأوسط.. ردّ جمال بغضب: كيف تقول إن الدستور لن يعدّل.. قال «محفوظ» إنه وزملاؤه رؤساء التحرير سمعوا الخبر من الرئيس شخصياً في الطائرة وهو مجتمع بهم أثناء عودتهم من زيارة للخارج.. قاطعه «جمال»: طيب خلاص صدّقنا أن هذا ما قاله الرئيس، وليه تنشره وتذيعه ليه، خاصة وإنه خطأ وغير صحيح، وسوف تتغير بعض مواد الدستور وبأسرع ما يمكن.. قال «محفوظ»: الأفضل أن توضع الصحافة في الصورة؛ تجنباً لسوء الفهم.. ردّ جمال «كالمدفع» كما يصفه محفوظ: هل تظن أننا فاضيين للصحافة، وعلى كل ما كتبتة عن الدستور غير صحيح.. اسمع أنت وزملاءك، الجلسات المطولة المفتوحة اللي كان بيعقدها معكم الرئيس انتهت ولن تتكرر، كما أن الأحاديث التلفزيونية لن يُسمح بها بعد الآن.. إذا قال الرئيس استمع ولا تنقل عنه؛ فهو لا يعرف أن ما يقوله غير صحيح!!

صورة مختلفة لجمال مبارك، ولكن بعد ضياع الصولجان والخروج من القصر لدخول قفص الاتهام، يرسمها آخر رؤساء تحرير عصر «مبارك».. اتصل به صديقه على «الفيس بوك» الشاب الذى يصغره بثلاثين عاماً كريم حسين أدمن صفحة «آسفين يا ريس»؛ لحضور فرحه، فلبّى الدعوة رغم بُعد المسافة بين منزله والفندق الذى يقام

فيه الحفل في الهرم، وجد «جمال» هناك، وقد وقف مرحباً بالصحفى الكبير وتعانقا طويلاً.. سأله عن الزملاء وبعض السياسيين من الزمن الماضي.. كلما سأل أحد «جمال» عن ترشحه للرئاسة أجاب حسب المناسبة: خلينا في الكورة، أو إحنا في فرح، أو نتكلم بعد الأكل.. السؤال الوحيد الذى يجيب عنه هو صحة والده.. ليس متعجرفاً متأنفاً متعالياً، وإنما خفيف الظل بروح مصرية، بشهادة محمد على إبراهيم.

ما تنشره الصحف عن الأبراج يؤلفه زملاء في بداية عملهم، والبعض يجعلون منه حكايات غرام.. ولكن ما حدث في «الجمهورية» مختلف؛ إذ اتصل في الصباح الباكر رجل مهم على التليفون الخاص برئيس التحرير، وكان الزميل «محمد على إبراهيم»، سأل بجديّة أقرب للغضب: قريت البخت في جريدتك النهارده يا محمد؟ اندهش، فلم يتصور أن من مهام رئيس التحرير قراءة البخت في الصحيفة قبل أن يُنشر، ولا حتى بعده! فتوقع شراً.. بسرعة تصفح الجريدة، وتعلقت عينه بالبرج الذى ذكره محدثه، وقد أضاف: هذا الكلام لا يليق ببرج الرئيس!

## من يومها ورئيس التحرير يقرأ البخت قبل المانشيت!

قليلون جداً من التقوا بـ«مبارك» بعد عزله، ولكن كثيرين تحدثوا عن اللقاء حتى ولو لم يحدث: طباخ الرئيس طلعت زكريا، والفنان حسن يوسف، والممثلة وفاء عامر، والطبيبة الكاتبة لميس جابر زوجة الطبيب الفنان يحيى الفخرانى التى استنكرت ما يقوله كارهوه أنه لم يكن هو صاحب الضربة الجوية فى حرب أكتوبر: يعنى «أمى الله يرحمها هى صاحبتها».. أما من أشاع قصة التوريث فهو سعد الدين إبراهيم وأمريكا استفادت منها.. عندما سألت «مبارك» عن التوريث قال: «هو أنا حافظ الأسد ولآيه؟!».

زارته مرة واحدة فى مستشفى المعادي، وتحدثت إليه تليفونياً.

يقول مكرم محمد أحمد إنه عندما كان حسنى مبارك رئيساً حرص على علاقته بكل الصحفيين حتى الذين يعارضونه، وكان يعطى إحساساً لكل صحفى يلقاه بأنه الأثير لديه، ولو أن الجرائد بالنسبة له لم تكن أكثر من «بغبغان»!

كان يحب النكت، وإذا كان الفنان «المنتصر بالله» قد اشتهر بأنه واحد ممن يدخلون السعادة على الرئيس، فإنه من بين صحفائه من يضحكه: ممتاز القط وأحياناً سمير رجب..

غضب من «مكرم» ثلاث مرات، وخاصمه شهوراً، آخره السؤال

وجهه في حديثه معه للمصور: هل كان ابنه «جمال» يتاجر في ديون مصر.. مع أنه كان يعرف السؤال سابقاً وقد أجاب عليه بهدوء.

لم يكن يطيق وزير خارجيته عمرو موسى، وعندما طلبت مادلين أولبرايت عند اجتماعها بالرئيس عدم حضور «موسى» ووافق «مبارك»، سمع صوت الوزير عالياً مجادلاً..

سأله «مبارك» مرة مازحاً أو لعله أراد أن يكايده: يقولون إن في مصر خمس وزراء خارجية، أجابه: نعم سيادتكم، وأنا، وعمر سليمان، وصفوت الشريف، وأسامة الباز.. ولم تعجب الإجابة الرئيس!

في إحدى جلسات حسنى مبارك قال: تعرفوا ليه أنا باحب سمير رجب أكثر من «نافع» و«سعدة» و«مكرم»؟

ويجب: لأن الثلاثة لما يهاجموا واحد زى «سراج الدين»، يبدأ كل منهم بـ«مع احترامنا الشديد لتاريخه ودوره ومكانته، أنا هو ابن كيت وكيت.. ولكن «سمير» يدخل في الموضوع على طول ويقول له إنك ابن كيت، وهو ده الشغل!

غير أن أهم ما يبقى من حكمة «مبارك» هو ما قاله في أعقاب آخر انتخابات نيابية في عهده، والتي لم ينجح فيها معارض واحد بتعليقات وترتيبات.. عندما سُئل عن رأيه في تكوين المعارضة مجلس شعب مواز، قال ساخراً: «خليهم يتسلوا»!

وعندما رشحت مصر وزير ثقافتها الحائز على ثقة الرئاسة - فقد بقى وزيراً لسنوات طويلة متتالية - لمنصب مدير منظمة الثقافة والعلوم «اليونسكو» بذلت مصر جهوداً مكثفة وصرفت أموالاً طائلة قُدرت بملايين الدولارات.. ولكن وزيرنا لم ينجح، وعاد محرراً لولا أن اتصل به الرئيس «مبارك» فور وصوله إلى مطار القاهرة، قائلاً

ضاحكاً: «ارم ورا ضهرك».

غريب أمرنا نحن المصريين.. نعشق الفراعين بل ونعبدهم.. نقيم لهم التماثيل ونسجد لهم «أطيعوا أولى الأمر منكم».. نسمع الكلام ولو أدخلونا السجون «عذاب سيادتكم نعيم».

لا أريد أن أجلد نفسي وأجلدكم، ولكن ما جرى مع الرئيس الأسبق «حسنى مبارك» يثير العجب.. ظل الفيلم ممنوعاً من العرض أكثر من عشرين سنة.. فلما أذاعه التلفزيون المصرى قبل أيام تذكرنا «حائط البطولات» وما جرى له..

تم منعه بإصرار رغم موافقة الرقابة والمخابرات والأمن القومى والدفاع الجوى، فالفيلم يتناول بطولة رجاله وقائدهم وقتها «الفريق محمد على فهمي».. ولكنه لم يذكر «مبارك»!!

سافر منتج الفيلم الدكتور «عادل حسنى» إلى «باريس» أثناء زيارة للرئيس لفرنسا مع مجموعة الصحفيين المرافقين، والتقى به في حديقة قصر «الإيليزيه».. قال له «مبارك»: ألا تعرف أنه لولا الضربة الجوية الأولى ما انتصرنا في حرب أكتوبر؟!

قال له فيما بعد سكرتير الرئيس «مبارك» المقرب اللواء «أبو الوفا رشوان» أن هناك من قال لـ «مبارك» إن الفيلم تجاهله.

حاول المنتج مرة أخرى مع المجلس العسكرى بعد ثورة يناير، فدخل في دوامة أخرى.. حتى فتح الله على القناة الأولى، وأذاعت فيلم «حائط البطولات».

لن يعود مبارك بظهور «جمال» عند سفح الهرم، أو بما كتبه «أحمد عز» في مقاله «دعوة للتفاوض»، أو بظهور «حسام بدر اوي» على شاشات التلفزيون من حين لآخر، أو بإصدار الصحفى أحمد مبارك

(تشابه أساء) كتاب «رجل العاصفة»، ينصف فيه الدكتور حسام.. أو بعودة «أحمد نظيف» أستاذاً بهندسة القاهرة.. ولا ب«صباح الخير يا مصر» والمذيع «جورج رشاد» يشيد بحسنى مبارك بطلاً لحرب أكتوبر، ويقول إنه لم يقل غير ما كتبه التاريخ، فقط أعطاه حقه أمام التزوير والافتراء الذى روجت له ثورة يناير..

لم يكن كافياً أن تمنعه «هناء سمري» مدير عام قطاع الأخبار من الظهور فى برنامج «صباح الخير يا مصر»، فالغضب وغيره شديد، ورأيك الشخصى أنت حر فيه، ولكن ليس على شاشة التلفزيون.. إذا أردت أن تخلع ملابسك لا تقترب من الاستديو، ادخل غرفة النوم! عندما اتصلت بصديقى الإعلامى «حمدي قنديل»؛ للاطمئنان على صحته، فإذا بزوجه نجلاء فتحى الفنانة الشجاعة الواعية التى لا يأفل نجمها نائرة للغاية من «جورج» وأمثاله، وما يذيعه التلفزيون الرسمى، ولا تعرف كيف ترد عليه، وتلزم الجميع حدودهم، وهى وغيرها حتى الذين لا يتكلمون يعرفون كيف يأخذون حق الشعب. ولو أن الشاعر «أحمد فؤاد نجم» ما زال بيننا لندن بقصيدته: «حامتك يا ريس» التى لا أستطيع أن أنشر من أبياتها إلا:

«ملعون أبو اللى يقدر يقاطع قرارك

نهاره مقنديل وليله مبارك

فهمبك وهيص وطلّع فى ديننا»!

## الفساد بدأ مبكراً

تقدّم النائب علوى حافظ، وهو عضو سابق في حركة الضباط الأحرار، باستجواب صاحب عام ١٩٩٠ عن «عصابة الأربعة» الذين يحققون مكاسب بملايين الدولارات بغير حق من صفقات نقل كل ما تحصل عليه مصر من أسلحة أمريكية سواء معونة أم مشتراة.

بدأ الخيط من تقديم حسين سالم الذى علاصيته فيما بعد للمحاكمة أمام إحدى محاكم ولاية فرجينيا الأمريكية؛ بتهمة إنشاء شركة وهمية تتربح من أموال المعونة الأمريكية.. وأرسلت وزارة العدل الأمريكية أسماء الأربعة الكبار التى وردت في الاتهام إلى الحكومة المصرية التى تكتّمت على الأمر، حتى قدم علوى حافظ استجوابه عن «عصابة الأجنحة الأربعة»، فأسرع الدكتور رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب بمنع تلاوة الأسماء في المجلس، وأكمل النائب كمال الشاذلى برفع الأسماء تماماً من المضبطة، فتختفى الأسماء تماماً، ولكنها وجدت طريقها للنشر في أكثر من كتاب مثل «المطاردة» لمان هنت بيتر، و«القناع» لبوب وودوارد الصحفى الأمريكى الذى شارك بعد ذلك في كشف فضيحة ووترجيت التى أطاحت بالرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون، وكتاب «اللعبة» لرجل المخابرات الأمريكية الشهير مايلز كوبلان.. وأضاف علوى حافظ كل التفاصيل وبالأسماء في كتابه «الفساد».. هكذا عرفنا أسماء ثلاثة من الكبار هم: عبدالحليم أبو غزالة، وحسنى مبارك، ومنير ثابت.. أما رابعهم فحسين سالم.

بزنس آخر مختلف هو التجارة في حمير مصر، كشف عنه الباحث البريطاني روبرت سبرنجبورج، وأول صفقة جمع الحمير «١٠ آلاف» وبيعها لأمريكا، ومنها إلى المجاهدين الأفغان يستخدمونها في حربهم ضد السوفييت، حيث الجبال الوعرة بأزقتها يستحيل فيها نقل العتاد والسلاح إلا بالحمير!

كان «أبو غزالة» وقتها رئيس بعثتنا العسكرية في واشنطن أيام سنوات تدفق الأسلحة الأمريكية على مصر بعد توقيع اتفاقية السلام مع «إسرائيل».. و«مبارك» أصبح نائب الرئيس.. وترددت أسماء كمال حسن على اللى أصبح رئيساً للوزراء.. ورجل الأعمال محمود الجمال اللى أصبح بعد ذلك صهراً لمبارك.. وتردد أن خلافاً شديداً وقع مع الفريق أحمد بدوى قائد الجيش اللى سقطت به، مع عدد من جنراته طائرة هليكوبتر.

مرت السنوات، وأصبحت صفقة بيع الحمير للتصدير حدودية في مسلسل تلفزيوني!!

وفساد القصور اللى أصبح قضية بعد عزل «مبارك»؛ إذ أدانته المحكمة لما كان يرتكب في تنفيذ أعمال صيانة القصور وعمل الديكورات وشراء الأثاث والأجهزة الكهربائية ليس فقط للقصور الرسمية، وإنما أيضاً للسكن الخاص لجميع أفراد الأسرة.. كانت المستندات تزور يقدمها مقاولون لتصرفها المقاولون العرب بعد تسجيلها تحت بند صيانة خطوط اتصالات الرئاسة.. قصة مريبة احتفظ البعض بمستندات قدموها للمحكمة، فكانت الإدانة.

لم يبق سوى كلاب القصر:

كان يستيقظ مبكراً، ويتناول طعام الإفطار، ثم ينزل إلى الحديقة، ومعه كلبه، ويطلب البوستة من سكرتيره.. يصف الدكتور مصطفى

الفقى الكلب بأنه «زى الجاموسة»، وعندما ذهب يحمل أوراقه يقدمها للرئيس بصفته سكرتيره للمعلومات وقف بعيداً خائفاً من الكلب المرعب، وطلب من الرئيس أن يأمر بربطه فى شجرة، ولكن «مبارك» تجاهل الأمر قائلاً: هات البوستة ده قرار جمهوري.. فتقدم مرتعشاً، بينما «مبارك» يسأله: لو هاجمك هتعمل إيه؟ قال «الفقى» بتلقائية: همسك فى حضرتك! أجاهه: هيكون آخر عمرك؛ لأنه مدرّب على الفتك بمن يلمسني!

مات الكلب عام ٢٠٠٥ قبل أن يشهد نهاية سيده..

أما مستشار الرئيس الدكتور أسامة الباز، فقد لاحظ «الفقى» أثناء جلوسهما مع الرئيس فى الحديقة أن «الباز» قد جحظت عيناه، وتسمّر فى مكانه فاقداً للنطق والحركة؛ إذ كان الكلب الضخم، واسمه «برنس» يلحس قفاه!

عرف مصطفى الفقى الكثير وقال الكثير، ولو أن الرئيس «مبارك» قال للصحفيين المرافقين له على الطائرة يوماً مشيراً إليه: «إوعوا تفتكروا إنه عارف حاجة، ده ما يعرفش أى حاجة!»

الدكتور مصطفى الفقى فى «اعترافات الخريف» يقول إن الرئيس «مبارك» كان يداعبه أحياناً قائلاً: «إنت زى طواحين الهوا»، ويقول «الفقى» إن هذا صحيح؛ لأنه كان مع السلطة أحياناً، ومع المعارضة فى أحيان أخرى.

السيدة الأولى كانت تحب البيغاوات، وعندها فى القصر ثلاثة، كلما شاهدوها صاحوا برقة: «سوزي».

يتذكر الدكتور رفعت السعيد أجواء الثورة، ولكن من الجانب الآخر: كان رئيس «دولة التنصت» يعمل حساباً للتنصت على

مكالماته، فكان يجري الاتصال من تليفون رقم ٩٩٩٩٩ ليلغك من يقول لك انتظر مكالمة من الرئيس على التليفون الأرضي.. لم يكن يشق في الموبايل، يراه مراقباً.. في البداية كانت الاتصالات تتم من خلال جمال عبدالعزيز سكرتيره الخاص، ثم تدريجياً لم يعد يمكن الوصول إليه، إلا عن طريق زكريا عزمي، يسميها «حلقة النار»؛ من يجازف باختراقها تبدأ المؤامرات ضده حتى يحترق..

عندما اخترق رفعت السعيد الحلقة بإذن من «مبارك» وترتيب من وزير الإعلام أنس الفقى كان الحديث عن انتخابات ٢٠١٠، وعندما قال «رفعت» إن الأمر يهدد مصداقية النظام ككل.. ضحك مبارك قائلاً: مش أوى كده!

لم يكره الناس حسنى مبارك، ولكنهم لا يريدونه رئيساً.. ولا جمال!!

لن يعود «مبارك» ولا عصره.. ولا أحمد شفيق.. ولا «البرادعي» وكل الذين لمعت أسماؤهم في زمن ما بعد الثورة..

أفضل وأصدق ما قيل من أول يوم عن «البرادعي» في عز قبول الناس له، وظهوره بصورة مبشرة مع ثورة يناير، كان ما كتبه «حمدي قنديل» -شفاه الله- في كتابه «عشت مرتين»: «انطلقت سيارته، وانطلق بها وسط جموع الشباب الذين كانوا قد جاءوا، وقضوا ساعات في ساحة المطار ينادون باسمه، لم تتوقف السيارة لتحتيهم، وإنما انطلقت بسرعة حمقاء، لا تمكّنه من أن يطلّ عليهم من كرسيه الخلفى وراء زجاجها المغلق.. لم يعقد مؤتمراً صحفياً واحداً، ولا أعرف إن كان ينفر من الناس أم يحتقرهم؟ أبقى رقم هاتفه المحمول سراً على الجميع، وتواصلنا معه عبر شقيقه علي.. خان الأمانة التي علّقها عليه أنصاره.. لا يقبل رأياً آخر.. البرادعي ليس منا».

طالب عضو مجلس نواب بسحب «قلادة النيل» التي سبق  
وكرّمت مصر محمد مصطفى البرادعي بها، وهذا ليس إهانة للرجل،  
وإنما لأعلى الأوسمة المصرية! لا يبقى إلا أن نسمع من يطالب بسحب  
جائزة «نوبل» من البرادعي!!

## فريد شوقي يحرر طابا!

الرجل الكبير رمز للماضى الكئيب، وقد بلغ من العمر عتياً. لن ينفعه أى تكريم. هو الذى لم يكرم من أعادوا طابا بالتحكيم، بل وانشغل عنهم يوم الاحتفال برفع العلم.. يقول «نبيل العربي» الوزير والسفير وأمين الجامعة العربية السابق الذى كان واحداً من خيرة أبناء مصر أصحاب الجهد فى تحرير آخر نقطة فى سيناء: «انتظرنا يوم رفع العلم المصرى على طابا، وقد أخبرونا بأن الرئيس الأسبق سوف يصفاحنا، ففوجئنا بأنه ما أن رأى فريد شوقي حتى تركنا واتجه إليه وإلى يسرا وهشام سليم.. ثم غادر المكان ونحن واقفون فى الانتظار.. حتى لم يصفاح المكرمين.

يقول «عماد الدين أديب»: الناس فى بلادى تأكل لحم حمير، وتشرب مياهاً معدنية مغشوشة، وتسرق الكهرباء من أعمدة نور الحكومة، وتغشّ فى ميزان رغيف العيش، وتبيع لبن الأطفال منتهى الصلاحية، وأدوية بلا فاعلية... فى الوقت الذى يزداد فيه عدد الذين يذهبون لأداء مناسك العمرة!

وكتبت الصحفية المناضلة «أمينة شفيق» عن الوزير السابق أحمد البرعى حكاية حدثت بالفعل:

فى إحدى مدارسنا الخاصة للغات والغالية بالمصاريف طلب منى التلاميذ كتابة موضوع تعبير عن حياة أحد الفقراء، فكتب أحد التلاميذ التالي: «الفقير هو الذى يخدمه طباخ فقير، ولديه فى بيته

كلب بلدي، ويملك سيارة نصر صغيرة».

ليس هناك رد فعل، فقد اعتبرها الجميع نكتة، بعد أن أصبح ذلك مفهوماً سائداً عند بعض العائلات في بلد زادت فيه المدارس الخاصة جداً، و«باظت» المدارس الشعبية جداً!

# كاريكاتير بالريشة والقلم

من زمان وأنا أحلم بكل شيء..

اشتريت «عوداً» في شبابي وغنيت لأصحابي أغاني عبد الوهاب!

والغريب أنني عدت لنفسي الحلم يوم أن بلغت سن المعاش،  
أحييت أن أعزف «كمنجة» لولا أنه «بعد ما شاب!».

من بين أحلامي كان رسم الكاريكاتير، فصاحبت أحمد طوعان،  
واقتربت من مصطفى حسين، وأحييت عبدالسميع، وفرحت  
بلقاء جورج البهجوري صدفه في باريس، وأعجبت بمدرسة  
«روزاليوسف»: حجازي، والليثي، وبهجت، واللباد، وجمعة...  
وآخرون كل منهم أستاذ في سخريته.. وصاحبت ماهر ونيل ثنائى  
كاريكاتير «الجمهورية».. واقتربت من تاج.. وأعجبت بـ«عمرو» ابن  
صديق العمر جمال سليم.. واحتفيت بمن اقتحمن الميدان وأولهن  
دعاء العدل.. وبالجيل الجديد الذى يرهقنى التعرف على أسمائهم؛  
لأنهم يوقعون بحروف بهلوانية.. كلهم أحبابي، ولكننى لم أعرف  
كيف أمسك بالريشة.. بالكاد أمسكت بالقلم.. وكله كاريكاتير!!

وفي مجلة «كاريكاتير» كانت لنا أيام

لم يكتب قصتها أحد، لا رئيس تحريرها أشهر رسامى الكاريكاتير  
«مصطفى حسين» ولا «أحمد طوغان» صاحب فكرتها الذى حارب  
الاستعمار بالريشة والبندقية في مصر والجزائر واليمن، ولا صاحبها

رجل الأعمال الغاوى «يحيى زيدان».

كلما تكلمت مع الرسام «تاج» فى شؤون شتى لا بد أن تكون المجلة الفريدة فى نوعها جانباً من الحديث.. فقد ساهم فى نجاحها مع كوكبة من الرسامين الفنانين والكتاب الساخرين، منهم من ترك لنا الحياة، ومن يواصل العطاء إلى جانب أجيال جديدة تسعدنا.

عاد «تاج» للجمهورية يغرد بالألوان على صفحاتها الأخيرة يضيف إلى الفنانين الآخرين سعيد فرماوى ومصطفى كامل.. وأين «فرج»؟

كان هناك «جورج»، و«جمعة»، و«ناجي»، و«رؤوف»، و«سليمان»، و«نزيه»، و«سمير عبدالغني»، و«سمير عبدخالق»، و«عمرو فهمي»، وكل الموهوبين تقريباً: وعفواً إن كنت قد نسيت نجماً أو شاباً..

على رأس الفريق الرسام الفيلسوف حامل الريشة والحكمة «حاكم».

وتقريباً كل كتاب مصر الساخرين: «يوسف عوف، ووحيد حامد، وأسامة أنور عكاشة، وعلى سالم، وفايز حلاوة، وعبدالله أحمد عبدالله «ميكى ماوس»، ويوسف معاطي، وأحمد بهجت، ومحمد مستجاب، ولينين الرملي، وفؤاد معوض «فرفور»، وحسام حازم، وبدر نشأت، وسمير الجمل، والناقد الرياضى همدى النحاس».. ومجموعة من الشباب الواعد «مجدى صابر» الذى أصبح واحداً من أكثر كتاب المسلسلات التلفزيونية شعبية.

وقد رأس تحرير المجلة بعض الوقت متعدد المواهب «أنيس منصور».. وأذكر أنه كتب مقالاً هاجم فيه الرئيس السورى وقتها «حافظ الأسد» دون مناسبة، وكانت المجلة تتبنى مواهب الفنانة السورية الواعدة «أصالة»، فغضبت غضباً شديداً، وأظنها كانت آخر

علاقتها بالمجلة.. والغريب أنه رغم علاقة «أصالة» الحميمة بأسرة «الأسد» من «حافظ» إلى «بشار»، فقد اختلفت بشدة مع النظام السوري حالياً!

فلما جاءنا الفنان الجميل «عبدالغنى أبو العينين» أصبحت أيامنا في «كاريكاتير» أكثر جمالاً، فهو صانع كثير من المجلات والصحف يضيف عليها بهجة، وهو مصمم أزياء فرقة الفنون الشعبية المتميزة، وصاحب لوحات لها مذاق خاص.. وكان من حظى أننى عرفته أكثر في «كاريكاتير» ثم في جريدة «الجمهورية» عندما رأسها الروائى الفنان «فتحى غانم».

«أحمد رجب» اعتذر بـ ١ / ٢ كلمة فقد اختار «أخبار اليوم» فقط لم يتزوج غيرها طوال حياته الصحفية.

ذهبنا إلى الكاتب الجميل «حسين أحمد أمين» في بيته بمصر الجديدة:

«أبو العينين» والفنان التشكيلي «إيهاب شاكر» الذى نذر نفسه لإسعاد الأطفال يذكر أبنائى منها «عندما يرقص الأسد»، والذى يرقصه هو الحمل الوديع.. وكنت معهم أراه لأول مرة.

بعد الترحيب وواجب الضيافة دخلنا في الموضوع نريده أن يكتب في مجلة «كاريكاتير».. بصراحة حاسمة وودودة سألنا عن مشاركة رأسمال سعودى في المجلة، وهذا يجعله يرفض..

له تجربة مع دول الخليج لا تسرّ بل أصابته بالاكئاب؛ إذ تسببت مقالاته في مجلة «الدوحة» في إصدار حكم من المحكمة الشرعية في العاصمة القطرية، بفصل رئيس تحرير المجلة الناقد الأدبى الكبير «رجاء النقاش»، وترحيله مع توصية لجميع الأقطار الإسلامية بعدم نشر «سموم» حسين أحمد أمين.

فلما انتقلنا إلى طلباته المادية أجاب إجابة محيرة له ولنا، قال: والله ما أعرف، فأنا أكتب في جريدة كويتية تصدر من لندن بعد غزو «صدام حسين» للكويت، وأتقاضى ٥٠٠ جنيه في المقال، وأكتب في مجلة «الهلال» المقال بخمسين جنيهاً، وأكتب في «الأهالي» ببلاش!! ولم يكتب في «كاريكاتير».

لم أكن دائماً على قوة المجلة، وإنما كنت صديقاً دائماً يستدعونني فألبي، ويستبعدونني فلا أقاوم، ويتكرر الاستدعاء والاستبعاد، فكلهم أصدقائي.

هناك رأيته، الشاعر الرقيق الشاب وقتها «ياسر قطامش»، أحببته مما يكتبه رغم أننا لم نلتق كثيراً.. كان يأتي زائراً يحمل في يده قصائده أو مقالاً خفيف الظل، المهم أن يكون «حلمنتيشي» وينصرف إلى عمله مهندساً.. رأس تحرير مجلة نقابة المهندسين سنوات طويلة.

لم نتقابل من وقتها، لكن بقى الود فى القلب، حتى أصدر كتابه الأخير «حوار من العالم الآخر»، سعيت لشرائه، وإن كان ناشره مكتبة «جزيرة الورد» ليس عند دليل التليفونات رقمها، كما يبدو أن هناك أكثر من ناشر بنفس الاسم فى المنصورة، وفى أول شارع ٢٦ يوليو، وفى حى الأزهر.. سألت صديقى الشاعر «إبراهيم رضوان» المقيم فى المنصورة، فوعدنى خيراً، وفوراً وسأكلم الحاج فتحى، ولكنه انشغل بديوان شعره الجديد.. لجأت لزميل الذى عنده الحل دائماً «أحمد عادل»، فقال: «ياسر» ده جميل سوف أتصل به؛ ليهديك كتابه.. وقد صدق.. اتصل بى الشاعر لنستعيد الشاعر الطيبة، ويسأل كيف يرسل حواراته مع الأموات من الفنانين والفنانات فى العالم الآخر.. قلت: الأسهل أن تدلنى على عنوان الناشر فأشترته.. وافق بعد إلحاح منى، وقد كان عندى حق، فلم تكن لديه سوى نسخة واحدة.

لا يهم كيف استطاع الوصول إليهم في العالم الآخر، فهو مهندس  
وشاعر، الأهم ماذا قالوا:

+ **عبدالفتاح القصري:**

سأله: إيه رأيك في حكومتنا الجميلة؟

قال: حكومتكم جميلة ازاي، ده أنا جنبها أبقى مارلين مونرو، وأنا  
ممكن أجيبلكم بتتى «الآنسة حنفي» تشكل وزارة، وتعلمكم الأدب  
وتقضى على التحرش!

+ **محمد عبدالمطلب:**

سأله: تحب تقول إيه لكل وزير ومسؤول عن الغلاء؟ قال: ما  
بيسألش عليّ أبداً، ولا بتشوفوا عنيا أبداً، يا ما ناديتيه واترجيته، إنه  
يرقّ شوية أبداً!

+ **هارى منيب:**

سألها: نتخلص من البلطجية إزاي؟ قالت: سيونى عليهم وأنا  
أعمل لهم عمل، قصدى حزب يأوهم يلّمهم ويقطع رجلهم، حزب  
الحموات الفاتنات!

+ **زينات صدقي:**

يا ما نفسى فى عريس يا رب اتحرش بيه ويتحرش بيّ ويتجوزني!

أمال فىن الفتوات وأولاد البلد المجدع.. الدنيا جرى فيها إيه؟!

طيب إزاي نواجه التحرش؟

شوف يا روح ماما لما يمسكوا واحد «كتاكتو بني» يجرسوه  
ويحلقوله زلبطة.

+ يوسف وهبي:

«من بيومي أفندى إلى شنبو في المصيدة»..

سأله: لو رجعت دلوقتي تحب تمثل إيه وليه؟

- أمثل «راسبوتين» علشان أقضى على الفوضى وأعلمكم الأدب يا غوغاء.. أنا عشت مع أولاد ذوات وأولاد الفقراء وأولاد الشوارع، لكن ما شفتش أولاد (!! زيكم.. حتى شرف البنت اللي كان زى عود الكبريت ما يولعش غير مرة واحدة بقى فى زمنكم زى الولاة يتولع زى ما انت عايز!

+ عبدالسلام النابلسي:

سأله: ما عندكش تفسير للى بيحصل ده؟

- روح اسأل «عفرينة هانم» وابنها «فتى أحلامي» فى بورتو طره.. أما أنا، فنويت أرجع للسينا الصامتة؛ لأنى حاسس إنى فى زمانكم ده زى «فريد الأطرش فى الزفة»!

+ محمود شكوكو:

سأله عن الفضائيات.. قال: يا جارحة القلب بإزازة، ونفسك تشبعي لطم فى جنازة.

يرحم الفنان «عبدالسميع» الذى رسم زمان غلافاً لمجلة «روزاليوسف» لرجل أتيق تبدو النعمة على وجهه وملابسه، يختال فى وسط الشارع ولا يهمه، والناس على الرصيف تنظر إليه بإعجاب.. والتعليق على الكاريكاتير: «معاه ٢٥ قرشاً!!»

رسم «عمرو سليم» مسؤولاً يقول للصحفيين: «إقالة وزير الداخلية صعب.. بس نوعدك بعد أول حادثة قطر.. حنشيلك وزير

النقل!»!

و«دعاء العدل» صوّرت الصحافة راقصة باليه. فكّت قيود ساقها. التي صورتها «سن قلم».

# يا خفى الألفاف!

يرحم الله الجميع ويرحمنا

كانت أيام حزن وغضب. ونحن نتلفت لا ندرى هل هو غضب من السماء. أم إن العيب فينا؟! ثم إن الدنيا كلها على هذا الحال. لم يكن مجرد حادث طائرة، فعدد الضحايا لا يزيد كثيراً على عدد ضحايانا آخر دفعة في ليبيا.

لا نعرف على وجه التحديد كيف قُتلوا؟ ولماذا؟ مثلما يحيط الغموض كالعادة بكل حادث طائرة. حيث ندخل في متهات «الصندوق الأسود» الذى لم ينفع مثلما حدث لطائرة ماليزيا التى انتهت إلى مجهول المخابرات أو العفارىت!! وما زلنا لا نعرف -بينما نعرف- سر سقوط طائرنا منذ سنوات قرب شواطئ نيويورك.

سمعنا مرة أخرى من قال إن الطيار محمد شقير «توكل على الله» قبل الإقلاع. وهو ما سبق أن فعله الطيار «جميل البطوطي».. مع أننا فى بداية كل أعمالنا نتوكل على الله.. لا هو ضيق بالحياة ولا احتجاج.

وهذا أفضل من حكايات على لسان خبير استراتيجى -وما أكثرهم هذه الأيام- عن اختراعات مجهولة تطلقها فى السماء جهات غريبة من أى مكان فى العالم، ولا من شاف ولا من دري.. على سبيل المؤامرة!

حتى وصلنا إلى حدوتة المضيفة التى ذهبت تصنع كوباً من الشاي

في «نصبة» الطائرة، فشبّ حريق عطل كل الأجهزة؟!!

والحظ الذي يجعل ركباً تفوته الطائرة المنكوبة، أو ذلك الذي يبدل جهداً ويبحث عن واسطة تجده له مكاناً على طائرة الموت.. تذكّرنا بأن عضواً بارزاً بمجلس الشعب، وأن عضواً بالبعثة العسكرية المصرية إلى أمريكا تخلف عن ركوب الطائرة المنكوبة في نيويورك، تذكّرنا بأسطورة أيام «هارون الرشيد» عندما جاء «عزرائيل» يجذر أحد أتباعه الذي خاف، فاشتكى للخليفة فقال له: أنا ذاهب لرحلة صيد بعيدة سوف آخذك معي، فقد تبعد عن «عزرائيل». وقد كان. لولا أنه فور وصوله وجد من ينتظره ليقول: «غريبة كنت أعرف أنى سأقبض روحك هنا في البراري، ولكنك لم تكن تبارح بغداد».. ومات في الميعاد والمكان.

وصديقى الأردنى «سليمان عرار» -رحمه الله- وكان صحفياً ووزيراً ورئيساً لمجلس الشيوخ، وقد سقطت به الطائرة وهى تهبط في مطار بغداد، ولم يصب بجرح ولو بسيط إلا حالة نفسية أدخلته المستشفى أياماً.. ولكنه مات في عزبة صغيرة بالقرب من «دمنهور» وهو في زيارة للريف المصرى مع صديقه المحامى الأديب صبرى العسكري.. لم يستيقظ من نومه الهادئ؛ إذ كان القدر ينتظره هناك!!

ولا يعرف أحد بأى أرض يموت..

حوادث الطائرات ليست الأكثر عدداً، ولكنها الأشد تأثيراً، فالإعلام عنها وتخيل الوفاة بين السماء والأرض ترعب النفوس.. بينما ضحايا القطارات والسيارات أكثر بكثير.. هذا ولا تتوقف الحركة والحياة.

تشابه الحكايات ولا بأس، إلا أن يحتفل أصحاب القلوب البليدة بموت الآخرين على واحد ونص.. اختارت جريدة «المساء» مانشيتاً

على صفحتها الأولى يقول: «الحياة الحمراء لا حياء ولا خجل.. مصر تبكى ضحايا الطائرة و»رزان مغربي« في وصلة رقص مع مطربين مجهولين».. الحق ليس على «رزان»!

فهناك برامج كاملة بالساعات لنسوان على «شلت» وأى كلام.. واستضافة لنصابة تحكى بالتفصيل خبابا العالم السفلي، وما يفعله الجن بالإنسان. والمذيعه تستمع إليها باندهاش في انتظار المزيد من الخرافات التى تستخف بعقول البشر، وصولاً إلى الكلب الذى قتلته وأخذت حته حساسة منه لبستها في مكان أمين بجسدها.. بعد كل هذا الدجل يأتى البرنامج «الثقافي!!» بطبيبة تكشف على الفتاة لتقول: ما حصلش!

أى استهانة بالعقول، ونحن في ظلّ تلك الهموم. وليس حادث الطائرة وحده؟

# قطار الأمل

اهتزت مشاعري وأنا أرى صورة نموذج لقطار والشباب الفلسطيني محمد لطفى واقف ببابه ينادى على اللاجئين في مخيم بيت لحم يناديهم: «حيفا. يافا. عكا. بيت نتيف»، فيسرع كبار السن والشبان إلى القطار الذى يفترض أنه سيعود بهم إلى قراهم.. إنه حلم العودة لبيوتهم التى اضطروا للهجرة منها. وما زال بعضهم يحتفظ بمفتاح بيته القديم؛ لأنهم سيعودون، ويتركه لأحفاده؛ لأنهم سيعودون.

لم يتحرك القطار الذى كان متجهاً إلى القدس في يوم ذكرى النكبة؛ لأن القوات «الإسرائيلية» تحاصر المكان.

مهما طالت الرحلة على متن القطار فإنه سيقف ذات يوم عند محطة الوصول.. الشاعر الفلسطيني الراحل محمود درويش كتب قصيدته «مقعد في قطار»:

كل أهل القطار يعودون للأهل.. لكننا لا نعود إلى أى بيت

ويصبح القطار رمزاً في كثير من الأشعار، والروايات، وعنواناً لأفلام سينمائية مثيرة.

ونحن دائماً في المحطة.. يركبه المهاجرون السوريون إلى أوروبا؛ هرباً من جحيم حكاهمهم.

ويتخذ البعض مسرحة للحب أو التجسس.. وتخيفنا «أجاثا كريستي» الشهيرة بروايتها التى أصبحت فيلماً سينمائياً «جريمة في قطار الشرق».

ولقد تأثرت بالفيلم المصرى «ساعة ونص» الذى دار فى قطار، ووضع الرجل أمه «كريمة مختار» التى تقدّم بها العمر فيه، ودسّ فى يدها ورقة بعنوانه كتب فيها: «من يجدها يضعها فى أقرب دار للمسنين أو المحسنين».

ويعيش الناس فى الهند حياتهم داخل محطات القطارات. فلما فكروا فى السياحة جعلوا من قطارات المهرجانات الخاصة رحلة للخواجات يسافرون بها عبر البلاد أكل ونوم وفرجة على المدن والآثار، أطلقوا عليها اسم «قصر على القضبان».

ولا أنسى محطة «سيدى جابر» قبل الإسكندرية بدقائق، حيث ينزل معظم الركاب.. المغزى يغادرون الحياة.. ومن لم ينزل لن يلبث أن يصل القطار إلى محطة مصر

## الموت في السماء

في صباح يوم بارد وجدت نفسى أحلق في الفضاء، أفتش في الذاكرة عن أيام كدت فيها أفقد حياتي. فأحمد الله.

كنت سعيداً برحلتى الثالثة إلى أمريكا؛ لأنها كانت على حسابى وعلى مزاجي.. استضافنى صديقى «منير مصطفى» بصوت أمريكى في بيته.. أعرفه من شهور قليلة قضيتها في «الدوحة» أعمل بمجلة «الفجر» التى يرأسها «حلمى سلام»، وهو غني عن التعريف.. «منير» كان مديعاً براديو «قطر»، ذهب إلى هناك مكرهاً؛ إذ كان سعيداً في «صوت العرب»، ولكن القدر جعله يذهب إلى قطب الاتحاد الاشتراكي «ضياء الدين داوود»، وكان أحد الذين يحكمون البلد.. يسجل معه حديثاً.. جاءه تليفون مهم التفت بعده إلى المذيع، وقال: «تحب تروح بعثة في ألمانيا؟»، ولم يكن قد عرفه أو رآه من قبل.. هكذا سافر مع عدد من الإعلاميين والصحفيين.. لم يكن يعرف أن الأمور سوف تتغير بعد أن تغير الرئيس من «عبدالناصر» إلى «السادات»، وتغير وزير الإعلام من «فائق» إلى «حاتم»، وتغيرت الاشتراكية إلى الانفتاح.. ولا بد من استدعاء البعثة، وأن يصبح من شارك فيها قائمة سوداء، فاستبعدوا من أعمالهم بالإذاعة والتلفزيون، وتحولوا إلى المصالح الحكومية، وشركات القطاع العام.. وكان «منير» واحداً منهم.. قرر مثل آخرين غيره السعى للعمل في إذاعات عربية أخرى؛ إذ كان الميكروفون عشقهم.. وكان حظ «منير مصطفى» راديو قطر.. ومنها بعد سنوات إلى راديو «صوت أمريكا».

في الدوحة عرفته، وفي واشنطن أكد على إقامتي معه، ولو من أجل أحاديث السمر.. وكان اسم زوجته السورية «سمر» التي لا تقل حفاوة عن زوجها - رحمه الله - مثقفاً رقيقاً يجلو معه السمر.

فكّرت أنا وزوجتي في زيارة خاطفة لمدينة أخرى مجاورة ساعة من واشنطن بالطائرة.. ذهبنا وتفرجنا وسعدنا حتى عدنا وأصبحنا مرة أخرى بين السماء والأرض.. فجأة تكهرب الجو، وارتبطوا الأحزمة، والطائرة تعلو وتهبط بصورة عنيفة مخيفة، والطيار يخبر الركاب بالموقف أولاً بأول، وكلها أخبار تستحق قراءة الفاتحة.. الذي جعلني أحس بخوف أكبر هو أن إحدى المضيفات جلست على الأرض تبكي بشدة.

أخيراً هبطنا في أول مطار استقبلنا لنكمل الرحلة إلى «واشنطن».

الحمد لله زال الخطر، وهدأت العاصفة، ولكن ما زالت عندي مشكلة؛ فزوجتي ترفض بشدة أن تركب نفس الطائرة مرة أخرى.. ماذا أفعل؟!!

أيام الشباب والحماس للسفر إلى «بورسعيد» - وأنا ما زلت صحفياً تحت التمرين - حيث قنابل الإنجليز والفرنسيين و«الإسرائيليين» تدكّ المدينة بالقنابل الحارقة.

لست غريباً عن المدينة؛ فقريتي «العريزة» لا يفصل بينها وبين المدينة الباسلة سوى بحيرة المنزلة، كنا نعبرها في مراكب سفر شراعية.. وكم سافرت إليها في أيام السلم والصف، يشجعني فندق «القاهرة» بالحي الأفرنجي يملكه أحد بلدياتي.

لم تكن «بورسعيد» التي عرفتها آمنة مبتسمة على أنغام «السسمية».. وجدت شوارعها شبه خالية إلا من صوت الرصاص،

ووجدت الفندق خاوياً ليس غيرى وحدى يقيم فيه.

حاولت أن أجد الصحفيين الذين سبقوني، وأولهم «مصطفى شردي»، وهو بورسعيدى أسس صحيفة «الوفد»، وحقق أجاداً كثيرة بدأت بالتقاط صور نادرة لوحشية العدوان الثلاثى تسلل بها، وسافر إلى «مصطفى أمين» على طائرة خاصة وقرها له «جمال عبدالناصر» لتنشر في العالم كله.

وكان الصحفي الثانى الفنان الرقيق النائر «عبدالمنعم القصاص»، وخطيبته الزميلة النقابية الثائرة «أمينة شفيق»، التى تسللت إلى بورسعيد فى زى صياد.

لم أجد أحداً، فسرت وحدى أتابع ما يجري، وأنتهى إلى مقهى أبوابه شبه مغلقة، أكتب رسالة أحاول أن أبعث بها إلى القاهرة.. «لم يُنشر منها حرف واحد».

فى ليلة اشتدّ ضرب النار والقناصة يتربصون، والذين اضطروا للتواجد فى الشارع يهتمون بالأعمدة التى تحمى البيوت البورسعيدية وأنا أفعل مثلهم.. كدت أحاصر ولا أعرف ماذا أفعل، فالموت يقترب منى.

امتدت يد من باب بيت قديم تخطفنى إلى الداخل فأجد غرفة واحدة.. أعطونى السرير الوحيد الذى يملكونه وطبخوا لى أرزاً بعدس لم أذق مثل حلاوته، قدّموه فى طبق صاج والدخان يتصاعد منه.. نمت نوماً عميقاً بعد أن أصبحت فى أمان، أوصلنى الرجل فجراً إلى بحيرة المنزلة لألحق بأخر مركب شراعى يغادرها، وأفاجئ أمى وأهل قريتى بظهورى بعد أن تصورونى شهيداً!

## عنبر «٢» في مزرعة طرة

ليلة ليلاء من خمسين عاماً، والجو خريف تتساقط فيه الأوراق،  
انتقلت من الدار للنار، من بيتى الدافىء إلى سجن مزرعة «طرة»  
الرهيب

وجدت الهوان، ومجموعة من الشبان، وقلعة من كبار السن لم أكن  
أعرف منهم إلا القليلين، وإن سمعت عنهم أدباء وكتاباً ونقاداً وفنانين  
وشعراء ومناضلين كانت مواهبهم وضجيجهم حديث الناس.

كان هناك «جمال الغيطاني» -حالماً حزيناً- تقول زوجته الكاتبة  
«ماجدة الجندي»:

«أطلت في طفولتى حتى أصبحت جدة».

«نحن بدونك بيت بلا سقف.. فيما بيننا تهمس بأجمل وأنبل ما  
يمكن أن يصل إلى أسمع امرأة: يا جميل، إحنا ما نسواش حاجة من  
غيرك».

«طيب إيه رأيك إنك طلعت مش عارف حاجة، وإن إحنا اللي  
من غيرك مأوى بلا جدران، وبيت من غير سقف، وإن انت الدلع  
والأحلام».

وكان هناك «عبدالرحمن الأبنودي» يملأ الدنيا صخباً وحياء، دخل  
القلوب بأشعاره التى تخاطفها كبار المطربين، وأولهم «عبدالحليم  
حافظ» الذى كان يسعى بشهرته للإفراج عن الابنودى ونحن معه،  
ويرسل خراطيش سجائر ينالنا منها نصيب.. وقد ودّعنا «الخال» من

قبل، دون أن أزوره في بيته بالإسماعيلية، وأشجار المانجو التى زرعها من حوله، رغم إغرائه لى كلما تحدثنا تليفونياً بأن المنجة طابت ع الشجر.

وكان معى فى نفس سيارة الترحيلات أختى «أحمد»، وقد دمعت عيونى وأنا ألمحه من عين زنانتى ذاهب إلى حجرة التعذيب بعد أن انتقلنا أفواجاً للتحقيق فى سجن القلعة.. ثلاثة ناهم أشد العذاب هم «صلاح عيسى» يكاد يكون الوحيد الذى كتب عن بعض ما حدث له فى مؤلفاته، و«محمد عبدالرسول» الذى كتب ما جرى، وما قبله فى كتاب يتيم أصدره، و«أحمد» - رحمه الله - الذى لم يحدثنى أبداً عن تعذيبه.

فى ليلة رأس السنة انطلق صوت «صلاح» عالياً متشنجاً، وهو ممسك بقضبان شباك العنبر الوحيد: أعطنى حريتى أطلق يدى»، ونحن معه نحاول اصطناع الفرح والأمل.. عندما انتصف الليل أنشد الأبنودى:

«فى داهية يا سنة ٦٧»، ومن أغانى سيد درويش: «بس الأكادة حبسة ظلومة ويكفيننا شرك يادى الحكومة».

مخرجة الأفلام التسجيلية «عطيات الأبنودى» أصدرت كتاباً أحببته اسمه «أيام لم تكن معه»، كتبت فيه عن تجربة السجن من الخارج ومحاولاتها ومعها «إيفلين» زوجة سيد حجاب وقتها، وزوجة زميلنا فى المعتقل كمال عطية إقناع المسؤولين، ومن يؤثر فيهم الإفراج عنا.. قابلوا «سامى شرف»، ولم يقابلهم «محمد حسنين هيكال» كذلك فعلها «فتحى غانم»، وسعوا لإقناع وزير الداخلية «شعراوى جمعة» وكل من توسموا فيهم خيراً.. ولا حياة لمن تنادى، إلا «خالد محيى الدين» الذى ذهب إلى شعراوى جمعة وساله: «إيه حكاية الأبنودى؟» فأجابه: «أبنودى مين؟» قال خالد: «على حسب وداد قلبى».. رد شعراوى:

«وإنت الصادق تحت الشجر يا وهيبة»!!

وكان معى الشاعر الرقيق «سيد حجاب» نتمشى معاً فى الطرقة الطويلة بين العنابر نستمع كل صباح باكر من إذاعة القاهرة عبر ميكروفون السجن لأغنية من تأليفه:

«يا ما زقزق القمري

على ورق الليمون

عشان بلدنا يا وله

وعيون بلدنا يا وله

كله يهون»

هذا بينا «القمري» نفسه محبوس!!

وكان صديق عمري «جلال السيد» الذى وصل متأخراً أياماً، فاستقبله ضابط السجن مطمئناً: «صاحبك جوه، سبقك» -يقصدني- كانوا يسمون الضابط «جزرة»، وتلك مسميات السجن ومن أشهرها «عنكب»..

كنا خارجين فسحة، فتلكأت أنا والأبنودي؛ إذ كان يشرح لى بحماس حلمه ببناء بيت على شط القنال عندما يخرج من المعتقل، ويرسم بإصبعه على جدار الزنزانة لعلى أتصور، فإذا بواحد من العناكب يباغتنا ويتهمنا بأننا نعدّ خطة للهرب، الأمر الذى لم نفلت منه بسهولة!

وكان معى نزيل كل السجن العربية الروائى الأردنى «غالب هلسا»؛ حتى تم ترحيله بعد ذلك من سجن القناطر أيام السادات.. كانت آخر أعماله يكشف فيها بصراحة وسخرية أسرار الزملاء المثقفين

سماها «الروائيون» وفيها: هزنا عام ٦٧ وكانت «سامية صادق» تشرح طريقة عمل «دقية البامية» عندما توقف الإرسال فجأة، وانطلق من الراديو مارش عسكري، وصوت المذيع: تم إسقاط أربعين طائرة للعدو.. ثم تعود دقية البامية!

وكان معي كثيرون أحسست بأنهم شلة أصحاب يعيشون حياتهم وملافاتهم وطموحاتهم على قهوة «ريش» أو «إيزافيتش»..

واحد منهم كان يكتب قصصاً بالعامية، يمتّ بصلة قرابة مع اللواء «حسن طلعت» مدير المباحث العامة في ذلك الوقت.. أحبّ مرضية واحتاج ١٥٠ جنيهًا ليتزوجها.. قال له بعد أن عرف بأزمته: أعرف أنك على علاقة بمجموعة مثقفين يعملون ضد النظام، أعطني أسماءهم أعطك المائة وخمسين جنيه.

«يحيى الطاهر عبدالله» أصغر الجميع سنًا، لم يكن يكتب قصصه القصيرة إلا بعد أن يقرأها كاملة بحماس على طريقته لكل من يعرفه، وأحياناً من لا يعرفه.. وقد ظل هارباً أربعة أشهر كاملة.. مات صغيراً في حادث سيارة على طريق الواحات، قبل أن يشاهد الفيلم المأخوذ عن قصته «الطوق والأسورة».

سبقنا «صلاح عيسى» للسجن في القلعة، قبل أن يشرّفنا في طرة.

المفاجأة أنني اكتشفت وأنا داخل مزرعة طرة أن مصر كلها محبوسة هناك: إخوان، وشيوعيون، ووفديون، وثرثرة محامين، وحتى منظمة الشباب والتنظيم الطليعي (رجال النظام)، فلما أعيتهم الحيل، ولم يجدوا من ينسبونه إلى فريق بعينه أطلقوا على عنبرهم اسم النشاط المعادي.

وجيل سابق من المعتقلين المخضرمين: المفكر المناضل حتى الآن

«إبراهيم فتحي»، والناقد المتميز الراحل «غالى شكري»، والأديب المثقف «على الشوباشي»، والطبيب الذى وهب حياته للشعب ثم للقضية الفلسطينية «رؤوف نظمي» -الشهير باسم «محبوب عمر»، والعمال «محمد بدر» بمصانع النحاس في «كرموز»، و«محمد عبدالغفار» عامل نسيج، و«منصور زكي» يجلّد الكتب في المطابع.. اخترناه مسؤولاً عنا، فمن أول يوم قام بمسح الأرض للنظافة، وفي أول صباح دخل علينا يحمل جرّداً يتصاعد منه بخار كثيف، وهذا هو الشاى يوزعه علينا، وأى مطلب أو مشكلة مع الإدارة ينوب عنا في حلها إلى آخر مهام «العمدة».. عمال جدعان ومثقفون واعدون

لماذا لا تعتقل السلطة إلا المحترمين؟!

كنا نستمتع مما بروونه لنا من حكايات معظمها ثورية وذكريات من حساباتهم السابقة.

كتب الغيطانى «هداية الورى لما جرى فى المقشرة»، عن سجون المماليك الرهيبة؛ كى يطمئن السلطان على حكمه، ويضمن طاعة رعيته.. الزنزانة والسوط فى خدمة السيد الحديد، وكان قبل لحظات العدو الخارجى.

ويتذكر كيف نمنا على الأسفلت، الفول ثلاث مرات و٧ زيتونات، يسترّد الحارس فى الصباح بذور الزيتون حتى لا نلعب بها، ولكننا صنعنا الشطرنج من لبابة العيش!

فجأة استدعت إدارة السجن ثلاثة منا؛ لمقابلة وزير الداخلية.. المطلوبون بالاسم «سيد حجاب» و«الأبنودى» و«كمال عطية»، وهم الذين كانت زوجاتهم يسعين للإفراج عنهم وعنا.. جرى البحث عن ملابسهم التى تركوها فى الأمانات عند الدخول، وقد تكرّمت وتبهذلت، وليس هناك وقت لتهديب أى شيء.

غير أن للقصة أبعاداً أخرى..

كان المفكر اليساري «لطفى الخولي» يحاول مع الفيلسوف الفرنسي الشهير «جان بول سارتر»؛ كى يزور مصر، و«عبدالناصر» صاحب الفكرة، ولكن «سارتر» اشترط الإفراج عن مجموعة المثقفين اليساريين المعتقلين، يعنى مجموعة عنبر «٢» مزرعة طرة.. وافق «عبدالناصر» بشرط أن يكون الإفراج عقب الزيارة وليس قبلها، وهو ما كان.

يقول «سيد حجاب»: والد زوجتى السويسرية قس صديق لـ«سارتر»، وعندما حضر لمصر كان الاتفاق على الإفراج الذى تم عندما دخل «سارتر» الطائرة عائداً من مصر.

مات «غالى شكري» فى باريس بعد سنوات من الاغتراب، وكانت تتباه حالات من الهلاوس الليلية فى أيامه الأخيرة على سرير بالمستشفى الأمريكى فى العاصمة الفرنسية، متخيلاً أنه فى المعتقل.

ركبت باخرة فى النيل قبل سنوات، كانت جمعية الكتاب السياحيين التى كنت عضواً بها تعقد مؤتمراً على متنها من الأقصر إلى أسوان، وكان معنا اللواء «منير محيسن» رئيس شرطة السياحة وقتها، وقد كان هو الذى يتولى التحقيق معنا فى سجن القلعة.. شاهدته ونحن نصلى الجمعة أثناء توقف الباخرة فى الطريق، كانت الدموع تملأ وجهه، لعله يستغفر ربه!

هذا المقال تحية لأرواح «جمال الفيضاني» و«الأبنودي» و«جلال السيد» الذى

تركنى وحيداً.. والأخرين دفعة عنبر «٢» فى مزرعة طرة

## ياما زقزق القمري!!

كُتِبَ علينا أن نودّع أحبائنا واحداً تلو الآخر.. كنا نسير وراءهم ونتقبل عزاءهم حتى الفراق الأخير، ولكننا أصبحنا غير قادرين على أن نودعهم، بعد أن تقدّم بنا العمر، وأصابنا العجز والمرض.. لن نجد من يودّعنا!

أعرفه منذ التقينا في عنبر أربعة بسجن مزرعة طرة قبل ٤٧ عاماً معتقلاً مع مجموعة من الشباب الواعد، أدباء وشعراء عرفت مصر منهم عبدالرحمن الأبنودي، وجمال الغيطاني، وصلاح عيسى... وآخرين نفخر بهم ونعتز بإبداعهم.. وكانت هناك أيضاً مجموعة من الجيل السابق؛ من بينهم المفكر والناقد الأدبي إبراهيم فتحي، وغالى شكري... وبعض القيادات العمالية اليسارية ممن سبق اعتقالهم.. خلطة مباحثية لسبك مبررات الاعتقال، وكأن هؤلاء الأربعة شاباً وشيخاً سوف يهزّون عرش الرئيس عبدالناصر..

ثم إنهم كانوا يحبونه ويؤيدونه حتى وهم وراء أسواره!!

اقتربت من زميل الحبس سيد حجاب، ربما لأننا بلديات، وظل الود قائماً بعد أن باعدت بيننا الأيام، غير أنه كلما التقينا يبدو وكأننا لم نفرق يوماً..

نستيقظ مبكراً بعد ليل طويل بارد في عز شتاء لا يرحم، حيث النوم على البلاط والمخدة فردة حذاء.. هكذا كان حال دولة انتهت إلى نكسة الستينيات!

نسير في طرقة طويلة تفصل بين عنابر السجن، وجيراننا الوفديون مجرد أنهم ساروا في جنازة زعيمهم مصطفى النحاس باشا.. وهناك عنابر أخرى، وكأن كل طوائف مصر ممثلة في مختلف السجون القديمة والجديدة!

كنا نسمع معاً كل صباح من إذاعة السجن أغنية «ياما زقزق القمرى على ورق الليمون».. يقول فرحاً حزيناً: كلماتى بس القمرى بيزقزق وصاحبه إيديه في حديد!

تم الإفراج عنا بعد أقل من ستة أشهر، وبعد أن استدعى ثلاثة منا للقاء وزير الداخلية وقتها شعراوى جمعة؛ من بينهم سيد حجاب.. كانت زوجات المعتقلين الثلاثة قد بذلن جهوداً مضنية وصلت إلى بيت الرئيس في منشية البكري؛ للتعريف بقضيتنا، وبالتالي الإفراج عنا، وهو ما سجّلته عطيات الأبنودى في كتابها الجميل «أيام لم تكن معه».

وكانت إيفلين بورين سويسرية أبوها قسيس صديق للفيلسوف الفرنسى جان بول سارتر، وقد سعت مصر لدعوته لزيارتها فوافق، ولكن بعد أن يخرج آخر معتقل يسارى في السجون المصرية.. وافق «عبدالناصر»، ولكن في ختام الزيارة؛ حتى لا يبدو شرطاً مسبقاً، وهو ما حدث!

بقيت إيفلين في مصر، وما زالت تعيش في قرية «تونس» مركز يوسف الصديق على ضفاف بحيرة قارون، تعلّم أطفال القرية متطوعة فنون الفخار والخزف، ويعيش فنانون مصريون بنفس القرية جاءها الفنان عبدالعزيز مخيون، وفيها الروائى عبده جبير، والتشكيلى محمد عبلة... وآخرون.

أما زوجة المعتقل الثالث؛ فقد توفاه الله مبكراً ولا أعرف شيئاً

عن زوجته الشجاعة! ندما عرفت بمرضه الأخير أصابنى اكتئاب،  
وتحدثت إليه فى المعادى حيث يقيم، وفى باريس حيث يتم استكمال  
علاجه بالكيمياء..

وقبل أن يغادر الدنيا بأيام طاف كثيراً بخيالى.. طلبته تليفونياً فلم  
يرد، قلت سوف يتصل هو بعد قليل، ولكنه لم يتكلم!

كنتُ أشارك أحياناً فى الصالون الثقافى الذى يقيمه الدكتور أحمد  
العزبى؛ ربما لأن سيد حجاب كان يحضره دائماً، يناقش ويشاغب مع  
نخبة من المفكرين والإعلاميين والفنانين: الدكتورة يحيى الجمل الهادى،  
وحسام عيسى الصاخب، والمهندس إبراهيم محلب، وفضيلة الشيخ  
على جمعة، ومصطفى الفقى الذى يملك مفتاح خزينة بها الكثير من  
الأسرار، ورجال القانون الوزير أحمد الزند، والمستشار فاروق سلطان،  
وأحمد زكى بدر، فيما بين توليه الوزارة، وأسامة هيكل قبل وبعد  
أن أصبح وزيراً، والسياسيون حمدى صباحى، وممدوح حمزة، وجورج  
إسحق، وعلاء عبد المنعم، والكتاب أمين إسكندر، وعبد الحليم قنديل،  
وعبد الله السناوى، وسعد هجرس، والصحفيون عادل حمودة، ومجدى  
الجلاد، وباسر رزق، ومحمود نافع، وخيرى رمضان، ونبيل عمر،  
والأطباء عمرو حلمى وزير الصحة الأسبق، وخالد عبدالغفار أستاذ  
طب الأسنان، ومحمود نافع، وعبدالرحيم على، ومحمود مسلم، ورسام  
الكاريكاتير جمعة فرحات، والفنان التشكيلى طه قرنى، والسينمائيون  
خالد يوسف، وأحمد عبدالعزيز، وهانى رمزى، واللواءات المهمومون  
بشؤون الوطن عبدالسلام المحجوب محافظ الإسكندرية الشهر - شفاه  
الله - وحسن الروينى عضو المجلس العسكرى، ونبيل شكرى قائد  
الصاعقة الأسبق..

ودائماً محمد الخولى أحد نجوم صوت العرب فى الستينيات؛ فهو

الذى يدير الجلسات الصاخبة أحياناً والساخنة دائماً، هذا إلا إذا كان «الخولي» فى نيويورك كبيراً مترجمى الأمم المتحدة.. وآخرون أفاضل كثيرون.

فى اليوم الذى أحبه «٢٥ يناير» مات سيد حجاب

«مين اللى قال الدنيا دى وسية..

سوآنا رب الناس سواسية»

وقد كانت أحد شعارات ثورة يناير..

«يا فارس الحلم جيل بعد جيل

دلوقتى لا شىء مستحيل»

قبلها كانت مصر كلها تغنى كلماته تحفظها من العديد من المسلسلات التلفزيونية:

«لى بنى مصر كان فى الأصل حلوانى

عشان كده مصر يا اولاد حلوة الحلوات»

و.. «دنيا ولا صندوق الدنيا.. فيها ناس ألباظ وناس ألبونيا».

و.. «ليه يا زمان ماسبتناش أبرياء؟!»

ومعارضته لقصيدة أمير الشعراء أحمد شوقى:

«سلوا قلبى وقولولى الجوابا

لماذا حالنا أضحى هبابا؟!»

وصرنا نعبد الدولار حتى

نقول له «انت ماما وانت بابا!

وملياراتنا هربت سويسرا

ونشحت م الخواجات الديابا

أمير الشعراء عفواً واعتذاراً

لشعرك فيه أجريت انقلاباً

دى مش دنيا يا شوقى بيه دى غابة»

سيد حجاب لم يمت، ما زال حيا بيننا، كل ما حدث أنه غير  
العنوان، من بيته فى المعادى إلى مدفنه فى الوفاء والأمل بمدينة نصر.

## كشف المستور في «غابة» الصحافة

أمسك بالقلم يكتب، ويقا تل، في بلاط صاحبة الجلالة.. نصف قرن من الزمان.. وجاءت شهادته في كتاب سجّل فيه معاركه، ونشر أسماء الأصدقاء والخصوم والشهود، وكل من ظهر في المشهد، فجاء في أكثر من ٧٠٠ صفحة.. ولعله ما زال يحتفظ ببعض أسراره.

لو عرفت أننى سأكون أحد المحرضين له في كتابة مشوار حياته في بلاط صاحبة الجلالة لفعلت ذلك مبكراً، فمن بين الأكابر من يستحق الفضيحة.

كان أول المحرضين «مصطفى بهجت بدوي» الفارس النبيل الذى أصدر كتابه «مذكرات رئيس تحرير سابق» عن تجربته رئيساً لمجلس إدارة وتحرير جريدة «الجمهورية»، قال فيه كل ما فى نفسه، وروى بصراحة ما تعرض له من مؤامرات.. ولعل الزميل الكبير «عبدالقادر شهاب» يكمل المشوار فى كشف بعض المستور من خفايا «غابة» الصحافة!

ولمصطفى بدوى موقف آخر إذ دفع كفالة ١٠٠ جنيه لـ«شهاب» حتى يخرج من سجنه.. وذلك دون معرفة، وإنما كان يجمع الكفالة من الزملاء الصحفى والسياسى «حسين عبدالرازق»، فقال له «بدوي»: أنا أدفعها، ولم يكن ذلك مبلغاً قليلاً أيامها.

لم أكن أعرف أن هذا الفتى الهادئ الأنيق «شهاب» سوف يفعلها ويفتح النار!!

«نصف قرن قتال في بلاط صاحبة الجلالة» شهادة عبدالقادر شهيب ورحلته الشاقة المتمعة في دنيا الصحافة..

تأخر صدور الكتاب؛ إذ قامت ثورة يناير، فكان الأكثر إلحاحاً كتابه «الساعات الأخيرة في حكم مبارك».. ثم «الإخوان والحكم.. فرصة العمر».. و«٥٠٠ يوم من حكم الجنرالات».. و«الساعات الأخيرة من حكم مرسي».. و«اغتيال مصر».. كان المؤلف شاهداً ومشاركاً وكاتباً.

بدأ في «الجمهورية».. واعتقل في يناير ١٩٧٥ لسته أشهر في سجن أبو زعبل، فيما عدل ليالٍ قليلة قضاها في سجن القلعة.. وكان الاتهام الانضمام لتنظيم شيوعي سرى هدفه مناهضة الحكم على خلفية الاحتجاجات؛ بسبب تردى الأوضاع الاقتصادية، ورفض الدول العربية الغنية تقديم العون الاقتصادي لمصر إلا بعد تلبية شروط صندوق النقد الدولي التي تقضى بإلغاء دعم السلع الضرورية وتخفيض الجنيه.. وقد اعتقل معه الشاعر محمود توفيق، والمحامي زكى مراد، والصحفي رشدي أبو الحسن... وآخرون، أما صديقه أسامة الغزالي حرب فقد سبقه في الخروج من السجن.

حل محسن محمد محل مصطفى بهجت بدوى في رئاسة مؤسسة وتحرير الجمهورية، فكان نصيبى أنا وأسامة الإبعاد من «الجمهورية».. طلبت أن أقبله أملاً في أن يعدل عن قراره، فوجئت به يقول لى بصراحة شديدة وقاسية: أنا لم أتخذ قراراً فقط بمنعكم من الكتابة في «الجمهورية»، وإنما اتخذت قراراً بمنعكم من مجرد دخول المؤسسة، وهذه آخر مرة سوف تدخل فيها هذا المبنى.

الدكتور أسامة الغزالي بدأ أيضاً في «الجمهورية» بقسم الأبحاث الذي كان يرأسه الكاتب الصحفي الراحل «فتحي عبدالفتاح»،

وكان المفروض أن يتم تعيينه عندما كان رئيس مجلس إدارتها الأستاذ مصطفى بهجت بدوي، ولكن اعتقاله عام ١٩٧٥ أجّل التعيين، فلما خرج من المعتقل كان قد تولى المنصب الأستاذ محسن محمد، فذهب إليه يطالب بتنفيذ قرار بتعيينه.. فقال له بصراحة مدهشة: «يا ابني، لقد أتيت إلى هذا المكان لكي أمنع تعيين أمثالك»، فترك المكان، وقد اسودّت الدنيا في عينيه (شهادة أسامة الغزالي في عموده بالأهرام؛ تعليقاً على كتابي «الصحافة والحكم».

وكانت له في «روزاليوسف» تجربة استغرقت أعواماً طويلة بدأت في ظل عبدالرحمن الشرقاوي، وصلاح حافظ، وفتحى غانم، وانتهت على يد محمود التهامي وعادل حمودة..

عندما كتب عن «القطط السمان وقطط المقاولات» وضع عناوين الحملة الصحفية صلاح حافظ على نصف الصفحة الأولى من المجلة.. وتوالى الحملات: «أسرار عزبة الإذاعة»، وغيرها من الموضوعات الساخنة الغاضبة.

حتى كانت أحداث ١٨ و١٩ يناير، وقررت «روزاليوسف» أن يعتبرها ثورة شعبية، وليس حرامية كما سماها الرئيس «السادات»، وعندما اجتمع «السادات» بعدد من الكتاب والصحفيين لضبط إيقاع الإعلام بدأ بسؤال صلاح حافظ: «كانت ثورة شعبية واللا انتفاضة حرامية يا صلاح»؟ أجاب: «ثورة غلابة يا ريس».. قال «السادات»: «خسارة سقطت في الامتحان يا صلاح»!

أما أكثر مقالاته غضباً، فكان «بلطجية شركات توظيف الأموال» عن احتجاز موظفي سوبر ماركت يملكه صاحب إحدى تلك الشركات للصحفي الشاب «إبراهيم خليل» -وقد أصبح اليوم رئيساً لتحرير «روزاليوسف»- الغريب أن المشرف على «روزا» وقتها باختيار

من الرئيس «السادات» دافع عن إحدى شركات التوظيف «الريان» بحماس غريب؟!!

كان قد جاء عصر مرسى الشافعى وعبدالعزیز خمیس، فلما جاء عصر محمود التهامی الذى انتهز فرصة إصابته بانزلاق غضروفی وغیابه مؤقتاً عن المجلة، وقام بتعیین الصحفى المتحمس عادل حمودة نائباً لرئيس التحرير، فأصبح الكل فى الكل!

كان «التهامی» یحس بالقلق؛ إذ تردد بشدة ومن مصادر علیا أن عبدالقادر شهیب سوف يأخذ منصبه!!  
بیع المطبعة لنسایب معالی الوزیر!!

وإلى المصور، یرحب به رئیسه مکرم محمد أحمد، ولكنه لا یضع اسمه مديراً للتحرير، ویقول إن هذا تقدير لمن سبقه «رجاء النقاش»، الذى كان قد توفاه الله.. غیر أن هناك سبباً آخر وهو الصراع على المنصب ممن سبقوه؛ وهما یوسف القعيد وأحمد أبو كف.. كما دخل مجدى الدقاق فى الصورة، وكان یحظى بدعم من فوق!

ویغضب «مکرم» من عمود «شهیب» عفوا.. أنت أعور؟! إذ تصور أنه یقصد عادل حمودة، ربما تصفیة حسابات!

وأخيراً یصل إلى محطته الأخيرة رئیساً لمجلس إدارة دار الهلال ورئیساً لتحرير المصور لسنوات، یقرر بعدها بإرادته أن یستقيل ویترك المناصب، ویتفرغ للكتابة فى أكثر من صحیفة ومجلة.. وكانت تلك الاستقالة أيضاً معاناة!

لم یبق سوى الدكتور یوسف بطرس غالى وزیر مالیه مبارك الذى كان یضغط علیه بديون المؤسسة التى یرأسها كى یبیع مطبعة دار الهلال الجديدة فى مدينة أكتوبر، ثم یتضح له أن المشترى كانت أسرة

زوجة الوزير اللبنانية!

يدلى عبدالقادر شهاب بشهادته، وقد يكون لمن ذكر أسماؤهم  
شهادة أخرى..

obeikandi.com

# كيف يقطعون لسان الدولة!؟

لماذا نكتب الكتب ما دمنا لا نجد من يقرأها؟ الحق أن أحداً لا يجدها.. أين تختفى كل تلك المطبوعات؟

هل أصبح المؤلفون أكثر من القراء، وإن أبدع بعضهم؟ أم إن الناشرين تحولوا إلى تجار، وإن حصلوا على أعلى الشهادات؟

ما بالناس بأزمة الدولار التي تطفئ وهج الثقافة والصحافة ومن يتعامل بالورقة والقلم، وتلك ميزة لمن لا يريدون وجع الدماغ!

كان الأمل في مطبوعات الصحف القومية، ولكنها مع الأسف لا تقوم بدورها.. تنشر ما لا يغري بالقراءة، فيبدو قبول نشر الكتب بالواسطة أو الإلحاح.. ويبدو أن الحرص على توزيعه ونشره بين الناس ليس في الحسبان.

تنتقل العدوى إلى صفحات الأدب في الجرائد والمجلات؛ إذ يكون الاهتمام -إلا قليلاً- بالعلاقات العامة أو بمن يرسل كتابه هدية يتبعها بتليفونات.

رحم الله «جلال السيد» الناقد الأدبي والصحفي بجريدة «الجمهورية» الذي كان يبحث عن الكتب ويشتريها، وقد لا يشير إلى الكتب التي تأتيه هدية إذا كانت لا تستحق.

ورحم الله «خالد السرجاني» الذي نذر نفسه لنشر الثقافة على صفحات جريدته «التحرير» و«الأهرام»، وكان أيضاً يشتري الكتب

ويقدمها هدية لمن يجد عنده اهتماماً بها حتى ولو لم يكن يعرفه.

وأصل إلى كبيرهم «رجاء النقاش» الذى لم يكتب فقط عن كتب وأدباء لهم قيمتهم، وإنما عرفنا على مؤلفين مصريين وعرب، فأصبحوا نجومًا.

هذا وقد أصبح تأليف الكتب سهلاً؛ فكثيراً ما يكتب المؤلف أو المؤلفات بالبحث عن عنوان راقص!

ولست ألوم أحداً؛ فزماننا أصبح هكذا..

وعندما نأتى إلى ما تصدره وزارة الثقافة من كتب عديدة، كثير منها له قيمة، يكون العنت أكبر في البحث عنها مع أن لها مكتبات أنيقة في أكثر من مكان!

وحدثى اليوم عن كتاب له أهميته أصدرته هيئة قصور الثقافة بعد أن تم عرضه على أكثر من دار نشر فلم تتحمس؛ لأنها نظرت إليه كسلعة وليس كقيمة.. ومع هذا كان تقديرها خاطئاً..

الكتاب هو «مذكرات الدكتور عبدالقادر حاتم» رئيس وزراء حرب أكتوبر، وأشهر وزير إعلام في سنوات «عبدالناصر» وأنور السادات، وهو الذى أنشأ التلفزيون المصرى ورائد صناعة السياحة..

أعدّ المذكرات للنشر وتحمس لها وقدمها في أحسن صورة الكاتب الأديب والصحفى «إبراهيم عبدالعزيز» مدير تحرير مجلة الإذاعة والتلفزيون.

الدكتور حاتم صاحب ذاكرة حديدية، حريص على ألا يجرح أحداً.. وكل ما قاله عندما ألغيت وزارة الإعلام: كيف يقطعون لسان الدولة؟! وعندما سئل عن حال التلفزيون قال إنه لا يجب أن يتكلم

كان يؤمن بأن أهل الخبرة أولى من أهل الثقة ..

روى لـ«عبدالناصر» نكتة عن أيام هتلر؛ إذ كان التلفزيون الألماني يذيع خطاب الفوهرر بمناسبة وبدون مناسبة، والمواطن مضطر لسماعه، ولكن الأولاد الذين أصابهم الملل طلبوا من أبيهم أن ينتقل إلى محطة أخرى، أجابهم: حاضر، ولكن بعد أن يطفئ جارتنا عضو الحزب النازي النور، ونعرف أنه نام فلا يبلغ عنا.. فلما حدث غيروا المحطة؛ وإذ بوزير الدعاية «جوبلز» يظهر لهم على الشاشة شاهراً مسدسه وشخط: ارجع للقناة الأولى تاني.. وكانت تلك النكتة رداً على المزايدين المطالبين بالإسراف في إذاعة خطاب الرئيس!

++ عن محاولة اغتيال «عبدالناصر» في ميدان المنشية بالإسكندرية نفى تماماً أن تكون تمثيلية؛ لزيادة شعبية الرئيس، فمثل تلك الأمور لا تتم بالرصاصة الحي!!

عندما ترك الوزارة تذكر ما قاله طه حسين عندما أصبح وزيراً عن الذين كانوا يحرسون على زيارته، ثم ابتعدوا عندما ترك منصبه.. قال طه حسين عبارته الشهيرة: «أنتيم حينما أتت وأدبرتم حينما أدبرت».. ولكن «حاتم» لم يواجهه مثل هذا الإحساس.

المشير يهدد بضرب «هيكل» علقه!

اتصل المشير أحمد إسماعيل وزير الدفاع بالدكتور «حاتم»، غاضباً بعد مقال محمد حسنين هيكل، الذي شكك فيه في قدرة الجيش المصري على العبور، واقتحام خط بارليف، وقال المشير إنه سوف يستدعي «هيكل» ويضربه علقه!!

هذا وقد تمت الاستفادة من نفس المقال لخداع «إسرائيل» قبل

حرب أكتوبر.

على أمين في «الأهرام» صدفة

لم يكن مقرراً أن يخلف على أمين محمد حسنين هيكل في رئاسة «الأهرام»، ولكن تصادف أن كان الرئيس «السادات» يتحدث إلى الدكتور «حاتم» عن مخاوف على أمين من إلقاء القبض عليه، وهو ما لم يكن وارداً.. ثم عن إدارة تحرير الأهرام الذى كان قد تولاه «حاتم»، فقال «السادات»: «ما عندك على أمين».. وقد كان، ومضت الأيام، وكتب على أمين مقالاً يطالب فيه بالكشف على عقول كل الحكام العرب، لم يعجب «حاتم» فمنعه، وكتب بنفسه مقالاً بدلاً منه.. وكانت النهاية!

شخصيات عرفها وكتب عنها: طه حسين، وتوفيق الحكيم، وعباس العقاد، والشيخ محمد الغزالي، وإحسان عبدالقدوس، وأم كلثوم، ومحمد عبدالوهاب، وصلاح أبو سيف، وكمال الملاخ، وسعيد فريجة، وناكسونى رئيس وزراء اليابان.. ومصطفى أمين الذى أنصفه وكتب عنه فى مذكراته أنه بريء من تهمة التخابر، وقد سُجن تسع سنوات بسبب اتهام خططت له مراكز القوى، وتعرض لتعذيب رهيب حتى يعترف بجريمة لم يرتكبها.

كان مصطفى أمين وصحفيون آخرون قد أحسنوا استقبال أنور السادات، وساعده بعد خروجه من قضية اغتيال أمين عثمان باشا، ولكنه بعد أن أصبح رئيساً «أبقانى فى السجن أربع سنوات أخرى»، كما قال مصطفى أمين.

عندما قابلت أم كلثوم الرئيس «السادات» قالت له: مصطفى أمين بريء.. أجاها: سوف أفرج عنه بعد المعركة.

وقال مصطفى أمين: الصحافة يمكنها أن تُسقط حكومات، ولكن في إمكان الحكومات أن تغلقها أو تحكمها أو ترأس تحريرها تنطقها بما تريد أن تقول!

عن رفع الرقابة عن الصحف قال مصطفى أمين: إذا وضعت يدك على فمى ٣٠ سنة، فلا أنتظر منك أن أقول لك: كيف حالك يا سعادة البيه؟!

وزيرة يابانية سألت السيدة «مديحة عبدالجواد» زوجة الدكتور «حاتم»: لماذا تصحبنه دائماً في كل زيارة يأتى فيها إلينا؟ أجابها مازحة: أعرف أن اليابانية تطبخ أكلاً شهياً، أخشى أن يجبه فيتزوج يابانية!

طلب الدكتور «حاتم» من ابنه الدكتور «طارق» أستاذ الهندسة بالجامعة الأمريكية ألا ينشر المذكرات إلا بعد وفاته.

قام إبراهيم عبدالعزيز بكل ما يملكه من كفاءة وصدق وحب بتقديم مذكرات رجل عاش في خدمة مصر، وعرف الكثير من الأسرار.

بقى أن تقدّم الهيئة العامة لقصور الثقافة طبعة ثانية وثالثة إن لزم الأمر!

## مطلوب حياً أو ميتاً

أعضاء مجلس النواب في ٢٠١٧ غاضبون؛ لأن «نجيب محفوظ» لم يتم حبسه من أيام «قصر الشوق» و«السكرية» بتهمة الفعل الفاضح.. لم يتقدّم أحدهم وقتها ببلاغ ضده.. نفذ بجلده، فلم يكن مجلس الأمة الحالي موجوداً في حياته.

ولماذا «نجيب» وحده؟ ماذا عن «إحسان عبدالقدوس»، ومطالبة النائب «عبدالصمد» في برلمان الستينيات بوقف نشر روايته «أنف وثلاث عيون»..

ومن كتب وغنّى «بلاش تبوسنى في عنيه»؟

وورثة المؤلفين والملحنين والمطربات والمطربين الذين غنوا «شفتى بتاكلنى أنا في عرضك خليها تلمس خدي»، و«ارخى الستارة اللي في ريجنا أحسن جيرانا تجرحنا»..

وصولاً إلى سعد الصغير: «معاك فلوس تحضن وتبوس».. ومحمد سعد في فيلم «تتح»: «يا فول مدمس، أنا نفسى اغمّس، جعان حاموت!»

عندما كتب نجيب محفوظ رواية «ثرثرة فوق النيل» ذهب من همس في أذن المشير «عبدالحكيم عامر» وهو في عز قوته بأن نجيب يقصده تلميحاً بمن هو غائب عن الوعي في الرواية لا يفيق من شرب الحشيش.. غضب المشير غضباً عارماً، وأصرّ على اعتقال المؤلف،

وذهب إلى جمال عبدالناصر لتنفيذ طلبه، سكت الرئيس قليلاً ثم قال:  
إحنا عندنا كام «نجيب» يا «حكيم»؟

ترى على من الدور في التكفير أو اتهامه بخدش الحياء؟! ليجرى  
التحقيق معه أمام نيابة الآداب!!

أصدر الأدباء في دمياط بياناً يستنكرون فيه ما ينطق به نائب  
«كفر سعد» بمحافظة دمياط، وقع عليه كتاب وشعراء وفنانون  
وكتاب سيناريو وأساتذة جامعة من بينهم «عبدالرحمن أبو زهرة،  
وصلاح مصباح، وبشير الديك، ومحمد أبو العلا السلموني، وسمير  
الفيل، وآخرون».. يذكرون النائب «أبو المعاطى مصطفى» وغيره  
بالمادة ٦٧ من الدستور، وتنص على أنه «لا مساس بالحريات في قضايا  
النشر والفكر والإبداع».

هذا، ولم نسمع صوتاً مختلفاً من داخل المجلس، وبه من أعرف  
ثقافته وشجاعته، فلماذا هذا الصمت المريب؟! هل اكتفوا بتعليق  
زميلتهم «نادية هنري»: يا نهار أسود!!

النائب رجل قانون، وقيل بانه سئل عما قرأه لنجيب محفوظ  
أجاب بثقة: «الجلبل».. فليغفر له فتحى غانم!

سبقه في برلمانات سابقة من طالب بمنع طبع رواية «أولاد حارتنا»  
في مصر، مع أنها نشرت في «الأهرام» وكاملة في بيروت.. هذا ولم يلتفت  
أحد لما ردهه محبوب عبدالدايم في «القاهرة ٣٠»: «البقاء للأوسخ»!!

وهل هناك ما هو أكثر صراحة وواقعية من «ألف ليلة وليلة»  
وحكايات «شهرزاد» التى ظلت ملهمة للمبدعين ذكرها الأديب  
العالمى «جارثيا ماركيز» فى خطابه وهو يتسلم جائزة «نوبل».. ولكن  
مصريين مثل نائب كفر سعد طالبوا بمصادرة طبعها الكاملة وحبس

ناشرها، بل وجمع نسخها وإحراقها في احتفال بميدان عام.. تصدى لهم محامى الأدباء والحريات «صبرى العسكري» مدافعاً عن أفضل ما وصل إلينا من كتب التراث العربي، ومدلاً على أنه حتى الجنس في أعمال الخلق والفن والإبداع لا يخذش الحياء.. أصدر القاضى المستنير «سيد محمد يوسف» حكمه بإلغاء المصادرة، مع مذكرة تفسيرية تقف إلى جانب الحريات.

هل اكتفى المنادون بالمصادرة وحبس الأدباء بمشاهدة الأفلام الماخوذة عن تلك الروايات، وهى شىء آخر عندما تحولت رواية «الكرنك» إلى فيلم سينمائى قام «صلاح نصر» رئيس المخابرات فى الوقت الذى جرت فيه أحداث الرواية وبشاعة التعذيب برفع قضية على نجيب محفوظ مؤلف الرواية.. ولكن القاضى أصدر حكمه ببراءته.

كتبت الزميله «دعاء مختار» أن نجيب محفوظ حكى فى برنامج مع «طارق حبيب» عن فكرة رواية «الكرنك»: جاتلى على القهوة لما دخل علينا شخصية «خالد صفوان» الحقيقية فعرفته، جاء يجلس على القهوة إنسان عادى جداً لا تظهر عليه علامات أن هذا الشخص هو من كان يقوم بالتعذيب، فلفت نظرى وتأثرت جداً.. ولو كنت أعرف أن الرواية والفيلم هيثير الضجة ويمنع من الرقابة كنت بعدت عن الغلب ده كله!!

وكان الكتاب الذى قدّمه الصحفى الأديب «أيمن الحكيم» جاء فى موعده، يعرض فيه الملف القضائى لنجيب محفوظ بوثائق ومستندات وأقوال أمام النيابة مستعيناً بصديقه ومحاميه «أحمد السيد عوضين».

كان الأمر قد وصل إلى محاولة قتل نجيب محفوظ متهماً هذه المرة بالكفر؛ بسبب روايته المثيرة للجدل «أولاد حارتنا».

يرد في كتاب «حضرة المتهم نجيب محفوظ» لأيمن الحكيم تفاصيل حادث الرجل الذى حاول طعنه بألة حادة في عنقه أمام بيته على نيل العجوزة، والنية المبيتة والاجتماعات السرية لتنفيذ الجريمة..

لم يقرأ واحد منهم الرواية، وربما لا يعرفون اسم الكاتب.

من داخل السجن أرسل واحد منهم اعتذاراً لنجيب محفوظ طالباً منه الصفح.. تأثر «نجيب» وقبل اعتذار قاتله، بل وتوسط لنقله من سجن العقرب المرعب إلى مزرعة طرة جنة السجناء.. فلما جاء العيد أرسل له معايدة تلغرافية علنية حملت رقم «٥٣٩٨٧»، وهو ما اعترض عليه كثيرون من أصدقائه وحواريه.. من بينهم الأديبان جمال الغيطانى ويوسف القعيد.

عندما افاق نجيب محفوظ في المستشفى فتح عينيه وسأل زوجته: هما هيعملوا العملية إمتى؟ أجابته: ما عملوها خلاص، قال: معناه «الجبلاوي» مش غضبان مني.

وكانو الداعون لتكفيره يتهمونونه بأنه أضاف في روايته إلى أسماء الله الحسنى اسم الجبلاوي!

أما اغرب قضية ضده فقد رفعها ابن اخته؛ لأن خاله «نجيب» كتب في المذكرات التى كتبها الناقد الأدبى الكبير «رجاء النقاش» ما أسماه «سرقه أهلية»؛ ففى يوم وفاة والدته احتفظت أخته وأبنائها ببعض مقتنياته.. لم يقصد الإهانة وإنما السرد، ولكن ابن أخته المهندس «محمود الكردي» اعتبرها إهانة بالغة للأسرة، فرفع قضية مطالباً بتعويض مالى ضخيم ومصادرة الكتاب.. ولم يحكم لصالحه!

أما شخصية «سى السيد» الشهيرة، فقد كانت لزوج شقيقته «زينب»، وكان صعيدياً من أصل كردي.

جاءه من يعرض تحويل «أولاد حارتنا» إلى فيلم سينمائي ينتجه «وحيد حامد» بمليون جنيه.. لم تكن المليون تغريه، ولكن لأن «وحيد» سيكتب السيناريو.. لم يتم الاتفاق!

وجاءته المنتجة «ناهد فريد شوقي» تريد إحدى رواياته بـ ٥٠ ألف جنيه.. قال: لأ لأ لأ ده كثير، تخفضها شوية! لم يكن يهتم بالمال، وظلّ طويلاً يترك كتبه لصديقه الأديب والناشر «عبد الحميد جدودة السحار» بأرخص الأجر، وبكلمة شرف بينهما.

وعندما كان قسم النشر بالجامعة الأمريكية على استعداد لزيادة نسبه من ترجمة أعماله، وكان محمد سلماوى بعرض الأمر عليه، قال: ما يصحش كده، أنا رضيت بالعقد، وعيب أقول لهم تعالوا نعدله.. فلما قيل له: ولكن لم يكن فيه نوبل؟ أجاب: جايز جداً أن ترجمتهم كانت السبب في حصولي على نوبل!!

لم تهبط عليه ثروة إلا بعد أن حصل على جائزة نوبل وعمره ٧٧ سنة، ولكنه أصبح مليونيراً على الورق!

لم يلبس كرافته في حياته، وكانت مشكلة عندما نال قلادة النيل.. قال: كل ما أستطيعه هو أن أقفل آخر زرار في القميص.

يبقى الإهداء الذى كتبه «أيمن الحكيم»:

إلى العارف بوطنه

المضروب بعشقه

حارس ذاكرته.. وخازن أسراره

حامل مفاتيح بوابته.. وشيخ حارته

إلى «مولانا» نجيب محفوظ.. مدد!

# صناع البهجة

عندما مات «محمود عبدالعزيز» افتقدنا واحداً من صناع البهجة..  
الصحفى الشاب محمد توفيق (٣٦ سنة) أهدى كتابه «صناع البهجة»  
لكل مبدع رسم البسمة على شفاه محبيه.. وروح يا شيخ ربنا يسعدك!  
ذكر كل من أحب فرداً فرداً، وتمنى على قرائه أن يجدوا فيمن  
أحب من يحبون..

«شموخ» أم كلثوم، و«وسوسة» عبدالوهاب، و«مكر» عبدالحليم،  
و«وردة» بليغ، و«عذوبة» نجاة، و«عصا» سليم سحاب، و«رقة» فاتن،  
و«وسامة» عمر الشريف، و«غموض ليلي فوزي».

و«حب» سناء ولويس، و«فصاحة» القصري، و«قلم» حمدى قنديل،  
و«سخرية» جلال عامر، و«هلس» سمير غانم، و«ذكاء» عادل إمام،  
و«سعاد حسني» كلها على بعضها، و«تناكة» النابلسي، و«بهجة» محمود  
عبدالعزيز.

ليسوا وحدهم من صنع البهجة، فهناك الشعراء والكتاب ورسامو  
الكاريكاتور ولاعبو الرياضة.. أعرفهم جميعاً وأعرف غيرهم ممن  
صنعوا ويصنعون وسوف يصنعون البهجة لنا.

بعض ما كتبه «محمد توفيق»:

عن «إسماعيل ياسين».. كان الرئيس «عبدالناصر» يخصص يوم  
الجمعة لمشاهدة أفلام إسماعيل ياسين، مهما كانت الظروف السياسية،  
والحقيقة أنه لم يكن يهتم بالممثل لولا أنه وجد فيه ما يحقق أهدافه،

وقد كانت أهدافاً نبيلة ووطنية وذكية، فالأفلام الستة التى قام بها «سمعة» كانت فكرتها واحدة سواء كانت تدور أحداثها فى الجيش أو الطيران أو الأسطول أو البوليس الحربى، يتحول فيها بطل الفيلم من السذاجة إلى النجاح فى مهمته.

ولكن مشكلة إسماعيل ياسين أنه لم يطور نفسه، وبعد أن كان نجم الجماهير المفضل لعشر سنوات خرج فجأة من القمة إلى النسيان.. دفع ثمن الاستسهال، فما يضحك الناس اليوم ليس شرطاً أن يضحكهم غداً.

عن «عادل إمام» لا أحد يصدّق أن الباشكاتب فى مسرحية «أنا وهو وهى» يمكن أن يصبح الزعيم فى يوم ما، ولكن عادل إمام أذكى من الجميع دائماً، ولو أن هناك جائزة لأذكى فنان فى تاريخ مصر لناها عادل إمام بلا منازع..

سأله الناقد «نجيب المستكاوى» أيام «مدرسة المشاغبين» عن النادى الذى يشجّعه، أجاب: أنا زملكاوى بشدة.. فلما سُئل بعد أن أصبح الزعيم فى التسعينيات قال: من شروط حصولك على الجنسية المصرية أن تشجع النادى الأهلى!

عن صلاح جاهين الذى يسمى علاقته بالفنان سيد مكاوى «زى العسل والطحينة»، فلما سئل لو أنه يعيش وحده فى جزيرة وسمحوا له بشخص واحد يقيم معه، قال بلا تردد: سيد مكاوى.

جزء كبير من شعبية «جاهين» بسبب ارتباطه بعبدالحليم حافظ وكمال الطويل.. فلما عرف أنه مريض بالسرطان لم يتحمل الخبر فاخفى، وحاولت أسرته الوصول إليه دون جدوى لعدة أيام، قسمت «بهجة» أخته أن «حليم» هو الذى مخبئه، فذهبت إليه تقول: عاوزين «صلاح» ضرورى أبوه تعبان.. قال «عبدالحليم»: والله ما هو عندي،

خشى دورى عليه، وعلى العموم أنا هعرف أجيبه لحد عندك..  
وبالفعل أحضره فى اليوم التالى، بعد أن نشر إعلاناً فى «الأهرام» يقول  
فيه: «ارجع يا صلاح، أهلك بيدوروا عليك»!

عن عمرو سليم أنه بعد الثورة مباشرة رسم كاريكاتيراً بديعاً  
يسخر فيه من عدم إلقاء القبض على الثلاثي: صفوت الشريف،  
وفتحى سرور، وزكريا عزمي.. سأله المؤلف محمد توفيق: ما الذى  
أوحى إليك بفكرة هذا الكاريكاتير المدهش؟ فأجابته: صلاح جاهين  
زارنى فى المنام، وقال لي: افضحهم يا عمرو! ولم تكن هذه هى المرة  
الأولى التى زاره فيها «جاهين» فى المنام، رغم أنه لم يره فى حياته سوى  
مرة واحدة أثناء التوقف فى إشارة مرور!

عن «محمود السعدني» أنه تخصص فى نقد السلطة والسخرية من  
أفعالها والضحك عليها، فصارت كتبه متحفاً أنيقاً يضم قطعاً أدبية  
تشرّح الحكم ومن فيه، وقد قال: ليس للمواطن فى بلاد الحمير إلا أن  
يمشى وراء الرئيس، فهناك متناقضات كثيرة فى العصر الحميري، منها  
أن لدينا ديموقراطية واسعة، وبلا حدود فى كل شيء إلا فى السياسة!

عن أحمد رجب صاحب «نص كلمة» فى جريدة «الأخبار» منذ عام  
١٩٦٨، ولكنه رغم ما صنعه من مجد كبير فإنه لم يكن رئيساً لتحرير  
أى جريدة، وعندما طلب مصطفى أمين من الرئيس «السادات» تعيين  
أحمد رجب رئيساً لتحرير مجلة «آخر ساعة» رفض وقال: ما ينفعش  
يا «مصطفى»؛ لأنه ما بيسمعش الكلام.

وعن محمد عفيفى أنه لم يكتب من أجل أن يحصل على المجد  
أو الشهرة والمال، ولو أراد لحقق كل شيء، ولكنه لم تشغله الأضواء،  
فهو واحد من المتواضعين العظام الذين لا يشعرون بأن ما يفعلونه  
يستحق الثناء والاحتفاء والتمجيد والتهليل..

وحين وضع «عفيفي» تعريفاً للإنسان المصرى قال: إنه المواطن الوحيد الذى يمكن أن يموت فى تصادم بين سيارة مرسيديس وعربة كارو!

ويقول: فى حديقة الحيوان أشعر بأمان أكثر بكثير من ذلك الذى أشعر به فى الشارع، فحيوانات الحديقة - كما نعلم - محبوسة!

عن «سعيد صالح» أنه لم يعيش فى جزيرة منعزلة عن الناس، ويحمل نفس صفات البسطاء حتى فى أخطائهم، ويهوى الخروج على النص فى الكثير من مسرحياته؛ فهو أجراً من أن يقول ما يمليه النص، بل يقول ما يمليه عليه ضميره، حتى لو كان مصيره السجن.

وقد فعلها عام ١٩٨٣ حين خرج على النص وهو على خشبة المسرح وقال: «أسمى تجوزت ٣ مرات.. الأول أكلنا المش، والثانى علّمنا الغش، والثالث لا يبهش ولا ينش»..

وكان يقصد «عبدالناصر» و«السادات» و«مبارك»، وفهمها الرقيب الجالس فى مقاعد الجمهور.. صدر الحكم بحبسه ستة أشهر!!

دايماً عامر عن الكاتب الساخر «جلال عامر» أنه صنع مجداً يعيش دهرًا، بدأه فى الخمسين من عمره، ولمدة خمس سنوات.. ابتكر أسلوباً جديداً فى الكتابة الساخرة، فبدأ كأنه «حاوي» يُظهر كلمات ويخفى أخرى، يجعل عينك تقع على الجملة التى يريد أن تقرأها، كلمة تخاطبك، وأخرى تخاطب من يجلس بجوارك، وثالثة تخاطب زوجتك، ورابعة تخاطب من يجلس فوق كرسى السلطة.

من كلماته «بلد تعرض للبيع بالجملة تبيع بالقطاعى بملايم»، و«كنا نزرع سينا مقاومة، والآن نزرعها حشيش»، و«كل شعوب العالم تعرف ماذا يحدث فى المستقبل إلا الشعب المصرى لا يعرف ماذا يحدث

الآن؟».

عن «علاء ولي الدين» قالوا له: شكلك غير وسيم من فضلك  
ابحث عن عمل آخر.. حاول مرة واثنين وتلاتة، وكل مرة الإجابة:  
أنت لا تصلح للتمثيل، ووزنك ثقيل.. ثم أصبح حضرة «الناظر»  
وأضحك الدنيا..

أحدث ثورة في مقاييس النجومية، كما أحدث موته زلزالاً في  
الوسط.. كان «وليا» بحق!

إذا كانت الحياة تبدأ بعد الأربعين، وتبتسم لك في الخامسة  
والأربعين، وربما تصبح نجماً في الخمسين من عمرك.. هذا هو  
الدرس الذي نتعلمه من الفنان «بيومي فؤاد» إن لم تستطيعوا البهجة،  
اقرأوا على الأقل «صناع البهجة».

## الكتابة بحب.. وابتسامة

فرحت عندما أوفدتني «آخر ساعة» أيام الأستاذ «هيكل»؛ لعمل تحقيق صحفي، وكنت تحت التمرين هارباً من جنة الطب إلى جحيم صاحبة الجلالة.. كانت أول مرة تعترف المجلة بوجودي.. أبلغنى «سليم زبال» سكرتير التحرير الأمر الناهى أن سيارة «أخبار اليوم» فى انتظارى للسفر بصحبة الأستاذ «صلاح منتصر»، واحد من شباب المجلة الواعدين، سرعان ما انضمم لكتيبة المحررين الأساسيين بالمجلة، وكان منهم أكثر من صلاح «هلال وجلال ومنتصر»، وجميل عارف ووجدى قنديل، وفتحية بهيج.. يجلسون فى غرفة متميزة بعيداً عن دوشة صالة التحرير التى تضم «طارق فودة، ونهاد رجب، وأحمد ماهر، وفاطمة سعيد، وكمال سعد، وحمدي قنديل، وأنا».

كان السفر إلى «كفر البطيخ»، ومعنا كبير المصورين الأستاذ «رشاد القوصي»؛ لعمل تحقيق صحفى عن القرية الصغيرة المجهولة فى زمام مدينة دمياط، فأصبحت على كل لسان، بعد أن ضرب بها الزعيم «جمال عبدالناصر» المثل وهو يؤمم الصحف، ويتهمها بالاهتمام بفتيات نادى الجزيرة وليس قرية «كفر البطيخ» التى أصبحت فى يوم وليلة حديث مصر كلها، يبحث الجميع عن موقعها على الخريطة.. حتى إن الكاتب «سعد الدين وهبة» قدّم مسرحية باسم «كفر البطيخ».

تجددت شهرة القرية مع صعود نجم ناعب كرة القدم المتميز «عصام الحضري» أحد أبنائها.

من يومها - وقد مضى أكثر من ستين عاماً - أحببت «صلاح»،  
ومن أول لقاء حتى اليوم أطال الله عمره، وأحببت «القوصي» حتى  
لقى ربه رحمه الله..

أما مقالات صلاح متتصر، فتستهويني خصوصاً عندما يحكى عن  
تاريخ شهد أحداثه وعرف خباياه، بل وساهم في صنعه بعين ثاقبة  
كاشفة صادقة بقدر ما يستطيع.

## الكتابة بحب.. ودهشة

تذكرت الكلمات التي تصلح لكل زمان، وأنا أقرأ عنوان مقال «عزى عباس»، فلما قرأته كاملاً، وأعدت قراءته، ترسمت على شاعرنا «نجيب سرور» و... يا بلدنا يا عجيبة، فيكى حاجة محيراني، نزرع القمح يطلع فى سنين، ونزرع الكوسة يطلع فى ثواني!!

يا وكستي..

مصر تستورد القمح!

لم أصدق عيني، وأنا أقرأ، أمس، أننا نستورد من الخضر والفواكه ما قيمته ٧.١١ مليار جنيه.. وهذا الكلام ليس من عندي، بل جاء فى أحدث ما أصدره الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء.

ولا عيب فى أن نستورد.. بشرط أن نكون أيضاً من المصدرين، فالجريمة أننا نستورد سلعاً كنا فى مقدمة من ينتجها.. بل كنا نصدرها!! وتعالوا نقرأ قائمة ما نستورده؛ إذ نستورد من الخضر اوات: بطاطس، طماطم، ثوم. حتى الكرات!! والبصل والخس والبنجر والبسلة واللويبا والخرشوف.. ناهيك عن استيراد فول التدميس والسبانخ والبامية.. أما أن تصل الأمور إلى استيراد الملوخية التى هى مصرية ٥٠٠٪ فهذه هى الكارثة.. والأبشع منها أن نستورد الباذنجان، وربنا يرحم محمود شكوكو الذى غنى للباذنجان أبوخل.. ولكننى أرى العيب كله فى استيراد القمح.. والكوسة؛ إذ نحن من ابتدع كليهما.. فما أكثر ما زرعه من الكوسة التى هى أسرع من القمح،

وما أكثر القرع في كل مراحل حياتنا!!

آه ممكن نستورد الخرشوف لزوم عشاق الأكل «الدايت».. وإذا لم يتوفر لن نموت.. حتى ولو توقفنا عن استيراد الكرات.. وفاضل نستورد البصل الأخضر، ويمكن أن نتوقف عن استيراد الصنوبر، والكريز، والتوت البري، والعنب من شيلي «في غير الموسم» والبندق والفسدق. أما أن نستورد التمور، ومصر ثالث دولة في العالم في عدد أشجار النخيل. فهذا هو العار. وربما نستورد البطيخ المربعات بدون بذور.. والكمثرى اللبناني، رغم أنني أعشق الكمثرى الخشابي المصرية. وكنت أعشق في طفولتي التوت المصري، الذي توسع محمد على باشا فزرع ٢٠٠ ألف شجرة توت في مصر، خلال عامين، ليربى عليه دود القز لإنتاج الحرير.

والمضحك المبكى أننا نستورد أيضاً أوراق الشجر!! بالذمة ده كلام!! أنا نفسي لن أستغنى عن كوب الحلبة الحصى أو كسرولة الحلبة إياها بسكر السنترفيش، هل ما زال موجوداً؟ وكنت أحياناً ما أكتفى بإفطاري بكسرولة الحلبة الحصى برغيف بلدى بتعريفه.. وأقبل يدي وش وظهر أن يسر لي الله سبحانه هذا الإفطار اللذيذ!!

ومن المؤكد أننا نستورد سلعاً استفزازية؛ مثل الزعفران، تعرفوا نصف الجرام ثمنه كام. أو جوزة الطيب الواحدة بكام.. أو حتى جرام المستكة التي بدونها لا تحلو الشوربة أو يجود السمك بالمستكة والشيبية!!

ثم بعد هذه الأرقام (نحو ١٢ مليار جنيه) لاستيراد هذه السلع.. هل هناك من أمل في أى إصلاح اقتصادي.. أم نجرى وراء الشاذ من هذه السلع.. ولا تقولوا لنا: اللي عايزها يدفع؛ لأن الدولة تتحمل أعباء توفير أموال استيرادها.

حقاً: وكم ذا بمصر من المضحكات.. ولكنه ضحك كالبيكا!! والله  
دى مصيبة.. وأى مصيبة. «عباس الطراييلي»

obeikandi.com

## الكتابة بحب.. وشجاعة

تم تحويل الكاتب «عبدالهادي الجميل» للنيابة الكويتية بسبب هذا المقال الذي نُشر في صحيفة «عالم اليوم»:

هل صنعنا شيئاً مفيداً للبشرية؟

\*\*\*

ما الذي حققته دول الخليج بعيداً عن النفط الذي تفجّر تحت أقدامنا بفضل الصدفة التاريخية وبقايا قطعان الماموث والديناصورات؟ لماذا نفتخر ببرج خليفة وبرج المملكة وبرج الحمراء التي لم يشارك مواطن خليجي واحد في بنائها أو صنع طابوقة واحدة منها أو حتى في وضع خططها الإنشائي؟!

النفط.. بنى كل شيء حولنا، وعندما ينضب في وقت لم يعد بعيداً كما يبدو، سيستطيع الإنسان أن يصل إلى قمة هذه الأبراج مشياً فوق الكثبان الرملية الضخمة التي ستبتلع هذه الحضارة الإسمنتية الفارغة!! أي حضارة ندّعيها ونسب أنفسنا قسراً إليها؟!

الحضارة الحقيقية شيء آخر مختلف تماماً عن الحضارة التي تروّج لها وتدّعيها حكومات الخليج وأبواقها من الصحافيين والمستشارين وضاربى الدفوف وحاملى المباخر. العالم كلّه يتجه نحو المستقبل ودويلاتنا الست تدور حول نفسها كالمغزل الصديء! تاهت البوصلة وزاغت الأعين، واستعصت الدفة على الأيدي الأمينة.

متى يعى حكام الخليج أنهم ليسوا آلهة، وإن حاول البعض إيهامهم بذلك، من خلال السجود لهم وتقبيل كتوفهم وأنوفهم وأيديهم؟! متى يعى حكام الخليج أن الشرعية لا يحققها تكديس الثروات ولا شراء الولاءات ولا الضرب بالهراوات ولا الحياة الأجنبية؟

الشرعية الوحيدة التى ينبغى أن يحرصوا عليها، موجودة فى قلوب شعوبهم الوفيّة الصابرة التى لم تعد قادرة -مؤخراً- على الصبر أكثر!

متى تعى العائلات الحاكمة أن العالم الآن غير العالم السابق، وأن شعوب اليوم ليست شعوب الماضي، وأن المواطن الخليجي لن يكثر بمستقبل النظام الحاكم، متى ما شعر بأن مستقبل أبنائه فى خطر؟! متى تعى العائلات الحاكمة بأن مثيلاتها قد زالت من العالم، وأن بقاءها فى الخليج لن يطول أكثر دون العدالة والمساواة واحترام حقوق الشعوب وكبح جماح الفاسدين من أبناء الحكم والطبقة المحيطة بهم!

متى تعى العائلات الحاكمة بأن المعتقلات المكتظة لم تنقذ «القذافي»، وأن حسنى مبارك سقط أولاً فى ميدان التحرير، وأن قاذفات «الميغ» دمّرت حلب، ولكنها لم تنجح فى تدمير إرادة أطفالها، وأن قبيلة على عبدالله صالح ضحّت به فى اللحظة التاريخية الحاسمة، فداءً لليمن؟! متى تعى العائلات الحاكمة أنهم لن ينالوا احترام الشعوب، وهم لا يجهدون أنفسهم من أجل نيل هذا الاحترام؟

لماذا يريدون من الشعوب أن تؤمن بالدساتير والقوانين التى لم يؤمنوا بها لحظة واحدة، رغم أنهم من وضعوها وفصلوها على مقاييسهم؟

لماذا تصرف العائلات الحاكمة بأموال الشعوب وكأنها إرث شرعى انتقل اليها من الآباء والأجداد، ثم يحاولون إقناعنا بأنهم أكثر زهداً

من الخليفة عمر بن عبدالعزيز!!؟

لماذا يتحدث بألسنتكم بعض الفاسدين، ويحيط بكم بعض المشبهين، ويستقوى بكم أرباب السوابق، ويدافع عنكم الحقراء، ويلتصق بكم المستشارون الذين أرضوكم فأغضبوا الله والشعب!!؟

لماذا لا تقرؤون التاريخ؛ كي تتعلموا أن الثورات لا تشتعل ذاتياً في العراء، بل تندلع شرارها في الصدور، وتضطرم في الشوارع، وتنفجر في القصور؟

## الكتابة بحب.. وغرام.

في نفس المكان الذي كان يكتب فيه أنيس منصور مقالاته على الصفحة الأخيرة على الشمال بجريدة «الشرق الأوسط» التي تصدر من لندن. وورثها عنه «على سالم». فتنتهى الصحيفة بابتسامة مصرية.. اليوم يتناوب عدد من الكُتاب السعوديين على ملء المكان. ويجتهدون.. بل يقدمون قصصاً وتعليقات. تنزل بعض البرد والسلام على القراء.

كتب «مشعل السديري» مرة عما نشرته صحيفة «المساء» منذ فترة إعلاناً مدفوع الثمن لمواطن مصري نكابة بينت «أعطته الطرشة». أى تركته دون رجعة. وتضمّن الإعلان كلمات للشاعر «نزار قباني» يقول فيها: لا تحزن إن خانتك فتاة. فهي كالطير يشرب من كل قناة.. يأخذ الكاتب ذلك الإعلان مقدمة لتقسيمات عن رأيه في النساء.

\* وكتب «السديري» في مقال أخير عن حوار في «تاكسي» أثناء زيارة للقاهرة. وهو عادة يلوذ بالصمت. ولكن السائق لا يصمت. بل ويحكى أسرار البيت.. فلما جامله بالمشاركة في الحديث سأله: هل تحب زوجتك أكثر أم سيارتك؟! أجاب السائق بعد تردد: «والله مانى دارى»!!!

\* \* أسأل مَنْ حولي عن الحل.. قالوا:

\* اشترِ مروحة..

\* لا تقرب الصحف..

\* لا تقرأ تصريحاً لمسؤول..

\* لا تفتح التلفزيون إلا على «نفسنة» وأخواتها..

\* ثم.. أليس حرّ الدنيا أحسن من نار جهنم!!?

obeikandi.com

# خريف العمر يا ولدي

تمنيت لو نسيت الدنيا وما فيها..

مثل عمر الشريف.

جلست معه مرة أو أكثر، دائماً بصحبة الدكتور زاهى حواس صديقه الوحيد الذى يسمع كلامه. إذا أصابه ضيق أو ملل، وبدأ التعبير على طريقته، تدخل «زاهي» وتنبه «عمر».

لم أحلم يوماً أن أكون نجماً، فرضيت بنفسى.. ولا أنبهر بالمشاهير أو أحكى عنهم.. ولست مثلهم إلا فى أننى أنسى.. وقد دخل عمر الشريف - قبل رحيله - فى دائرة النسيان. لم يعد الفتى الذى نحسده على «فاتن حمامة» بعد أن ضيّعها من يده «طارت»، ولم يعد الممثل الذى حسدوه وحاولوا أن يقلدوه بعد هوليوود، فأطلقوا الشائعات والحقايق عن عصبيته، وتناولوه إذا غضب.

ذلك «ألزهايمر» اللعين الذى يحزن المحيطين بمن أصابه على كبر. والحمد لله أنه نفسه لا يدرى بنسيانه.

أكثر من ثمانين سنة عاش معظمها فى فنادق العالم الباردة، مهما كانت فاخرة، وآخرها فى «الجونة» التى لم يحس بجمالها، ونسى كل شيء عن أهله وفنه وأفلامه من «صراع فى الوادي» و«نهر الحب» إلى «لورانس العرب» و«فتاة مرحلة»، ونسى كل النساء وما أكثرهن.. عندما أخبره زاهى حواس بوفاة فاتن حمامة لم يتذكرها. فقال له:

والدة «طارق» أجابه: طارق أخويا؟!!

لم يعد أحد يسأل عنه سوى ابنه «طارق» وصديقه «زاهي»، ولكن الاثنين على سفر دائماً، وهو يعاني منذ ثلاث سنوات، ويثير المشاكل في الفندق الذي اختاره على النيل،: متخيلاً أنهم سرقوه، فيقيم ضجة تكررت لم يتحملها الفندق.. والحل بعد أن تمكّن منه المرض أن يقيم في مصحة متخصصة، أو شقة بها ممرضون تحت إشراف طبي.

داء ليس له دواء. مهما فعل الأطباء. لا نعرف بالضبط كم عدد المصابين به، فكثيرون يخفون أمر مرضاهم، ولكنهم يقولون إن عددهم في حدود الخمسين مليوناً.. قد يصيب من هم تحت الستين أيضاً.. كما أنه مرض لا يميز بين غنى وفقير. رجل أو سيدة.. أبيض أو أسود، ومواطن عادى أو مشهور، فقد انتهت حياة الرئيس الأمريكى «ريجان» بعد معاناته، وعلى الأصح معاناة أسرته من «ألزهايمر».. وحاول الأديب العالمى صاحب «١٠٠ عام من العزلة» والحائز على جائزة نوبل أن يحاول جاهداً تحدى النسيان.. ووصل الداء إلى أشهر لاعب كرة «بوشكاش».

الكاتب الشاعر الدبلوماسى السعودى «غازى القصيبي» له رواية يقول إنها أقصوصة اسمها «ألزهايمر» يحكى فيها كيف يقف بطلها «يعقوب العريان» أمام بائعة العطور ليشتري زجاجة من عطر زوجته المفضل.. تسأله البائعة: ماذا تريد؟ ولكن يعجز تماماً عن تذكر اسم العطر، رغم محاولات البائعة تذكيره بمختلف الأسماء.. غادر المتجر، وقد احمر وجهه، يعد البائعة التى تبسم بعطف بأن يعود إليها، ومعه الاسم مكتوباً.

وفى رسالة من «يعقوب» لزوجته من المستشفى الذى يعالج فيه من «ألزهايمر» يقول: إن هذا مرض ارستقراطى جداً، وإن عدداً من

صفوة الصفوة في الغرب قد أصيوا به، وذكر أسماء ريتا هايوارث،  
وتشارلتون هيستون، وجوليانا ملكة هولندا، وطبعاً رونالد ريغان  
الذي قال: «هذا مرض جميل، تقابل الأشخاص أنفسهم، وتظن أنك  
ترى وجوهاً جديدة كل يوم».

وتتوالى رسائل «يعقوب» إلى زوجته.. وأحزن على كل من أصابه  
داء النسيان، ولو أنه لا يحزن على نفسه!

## غزل البنات

سألتنى هامية وهى تداعب بأناملها الرقيقة مشاغبات  
«الفيسبوك».. عن فيلم «غزل البنات».. تحمست: ده أنا دخلته أكثر  
من مرة.. يا سلام!!

بنفس الهمس المريب قالت دون أن ترفع وجهها عن شاشة  
«الفيسبوك»: ده إنتاج سنة ١٩٤٩ أيام الملك فاروق قبل منفاه، وقد  
جاء بعده محمد نجيب من القشلاق إلى الحكم إلى الأسر طول العمر،  
وجمال عبدالناصر «أدى احنا بنينا السد»، وأنور السادات «انتفاضة  
الحرامية»، وحسنى مبارك «أسير القصر»، ومحمد مرسى «سجين  
الزنازة»، وعبدالفتاح السيسى «الله المستعان»!

غفرت لها السؤال حتى بعد أن عرفت خبثه وشقاوته، فصاحبته  
هى زوجتى التى تحرص على تذكيرى بيوم مولدي.. هكذا توالى  
الذكريات والذندنة:

«عينى بترف وراسى بتلف

وعقلى فاضله دقيقة ويخف

عشانك انتى أنكوى بالنار والقح جتتي

وادخل جهنم وانشوى واصرخ واقول يا دهوتي».

دخلت الفيلم أكثر من مرة، أعتقد فى سينما استديو مصر على

ناصية عماد الدين وشارع نجيب الريحاني، بعد أن أطلق اسمه عليه بعد وفاته، دون أن يشاهد الفيلم الذى تمناه، فقد مات قبل انتهاء تصوير غزل البنات.

كانت البداية فى أسانسير عمارة الإيموبيليا بوسط البلد، حيث التقى صدفة بالفنانة اللامعة «ليلى مراد»، والاثنان من سكان العمارة.. بعد «بونجور»، قال: أموت وأمثل فيلم معاكى.

حكى لزوجها وقتها الممثل المخرج المتج الشاطر «أنور وجدي»، فأخذ الأمر بجدية، وبدأ الإعداد للفيلم..

أحاط موت «الريحاني» المفاجئ الكثير من الشكوك، ونشرت مجلة «الأهرام العربى» تحقيقاً مطولاً عن مختلف الاحتمالات..

فيلم آخر دخلته أكثر من مرة، وقد ماتت بطلته «أسمهان» أثناء تصوير فيلمها «غرام وانتقام» مع يوسف وهبى، فزاد الإقبال على مشاهدته.. وكانت وفاتها أيضاً غامضة، مع أنها سقطت بسيارتها فى النيل، وهى فى طريقها إلى رأس البر، خصوصاً وأن سائق السيارة قفز منها فى آخر لحظة، وغرقت هى وصديقتها.. انتشرت الشائعات تتهم أم كلثوم «غيرة فنية».. أو القصر الملكى؛ إذ كان رئيس الديوان الشهير «أحمد حسنين باشا» الزوج السرى للملكة نازلى والدة الملك فاروق قد أحبّ المطربة القادمة من جبل الدروز فى سوريا.. أو تعاملها مع أجهزة المخابرات البريطانية والألمانية المتنافسة فى المنطقة أثناء الحرب العالمية الثانية.

وعلى ذكر «أسمهان» فقد تجددت رواية أن من قتلها هم الإخوان المسلمون بأمر من زعيمها «حسن البنا» أصدره لعبد الرحمن السندي رئيس الجهاز السرى للجماعة الذى زرع سائق السيارة التى سقطت بها -عمداً- فى النيل، وبعد أن دس لها شارباً مخدراً حتى لا تستطيع

النجاة وهى السباحة الماهرة.. وقد تقاضى «البناء» ألفى جنيه إسترليني من قائد المخابرات البريطانية فى مصر.

كانت تلك شهادة «ثروت الخرباوى» المحامى، وأهميتها أنه كان عضواً بارزاً فى جماعة الإخوان!

أول مرة تظهر فيه نجمة الإغراء «هند رستم» على الشاشة كانت كومبارس فى فيلم «غزل البنات»، واحدة من راكبى الخيل وراء البطلة لىلى مراد، و«تمخطرى يا حلوة يا زينة».

احتل المركز التاسع فى قائمة أفضل مائة فيلم مصرى.. كان الأول «العزيمة» للمخرج كمال سليم، وآخر فيلم فى قائمة الأفضل هو «الزوجة رقم ١٣» لفطين عبدالوهاب..

كانت أفلام زمان عظيمة!

كان يختلط علينا الأمر عند ذكر اسم فيلم «غزل البنات»، هل هو بالفتحة على الزاى فى معنى الحب والغرام؟ أم بالسكون فىصبح اسم الحلوى الشهيرة التى نعشقها منذ كنا أطفالاً، وردية اللون هشة حلاوتها تذوب فى الفم.

نسميها فى مصر وبلاد الشام غزل البنات، وفى العراق شعر البنات، وعند الخلايجة ذقن الشايب، وفى ليبيا حلوى القطن، ويسميها التوانسة حلية جددي.. هكذا تكون الوحدة العربية!

كانوا يطوفون شوارع مصر وحواريها يبيعون الحلوى للأطفال ينادونهم بالمزمار، فيتجمعون حولهم يشترتون ويهللون، وكنت آخرهم..

ينفض السامر بعد قليل لأجد نفسى وحيداً تأئهاً باكياً، فيتلقفنى

رجل طيب يملك دكاناً في جزء من داره، لأجدنى وسط عائلة طيبة وطعام ينسينى ما أنا فيه طفلاً لم يبلغ السادسة من عمره.. بينما أمى والجيران ينتحبون حائرين، ولم يكن الحل أيامها إلا المنادي: عَيْل تايه يا ولاد الحلال، لابس جلابية مخططة بأحمر.. هكذا وجدونى، وهكذا أفكر حتى اليوم ماذا لو تبناى الحلوانى؟!!

لم أظن لخبث السؤال: تعرف فيلم غزل البنات؟ وسذاجة الإجابة: طبعا دخلته كثير أول ما تعرض فى سينما استوديو مصر!

تبقى الحكمة على لسان نجيب الريحاني:

«بتاع الكلب يلبس لبس باشا، والباشا يلبس جنائني».

وأول لقاء مع الباشا القادم من حديقة قصره مرتدياً زى جنائني، يسأل: إنت جاي تعمل إيه؟

- جاي أدرس لبنت السلطان.

- شايف نفسك ضليع فى قواعد اللغة العربية؟!

- زى مانت ضليع فى الجرحير والبقدونس والفجل الرومي!

كانت عمارة الإيموبيليا التى أقامها المليونير الشهير أحمد عبود باشا بمليون وثلاثين ألف جنيه فقط! قبل ما يقرب من سبعين عاماً، سبباً فى إنتاج فيلم «غزل البنات» تسكنها البطلة ليلى مراد، والبطل نجيب الريحاني، والمنتج أنور وجدي، والملحن محمد عبدالوهاب، كما كان يسكنها كثير من الفنانين والفنانات وأصحاب الملايين؛ مثل سلفادور شيكوريل، وريمون شملا، وكبير الصحفيين فكرى أباطة.

ولقد شهدت الإيموبيليا طلاق أنور وجدى وليلى مراد، وقبله شهدت إسلامها.. يقولون إنها سمعت أذان الفجر بصوت جميل،

فأيقظت «أنور» قائلة: أنا عابزة أسلم دلوقتي.. أجاها وهو يغالب النوم: قولى أشهد ألا إله إلا الله محمد رسول الله، وبكره نروح الأزهر الشريف.. توضحأت ليلي وصلت ركعتين.

غنت «ليلى» في فيلم «بنت الأكابر» والدموع تطل من عينيها «يا راجحين للنبي الغالي»، ولم تكن الأغنية موجودة في الفيلم الذى كتبه أبو السعود الإبياري، فطلبت منه «ليلى» أن يضيف أغنية دينية، أخذتها بنفسها - لضيق الوقت- إلى الملحن رياض السنباطى فى منزله بمصر الجديدة.

يضيف الزميل «أيمن الحكيم» فى كتاب انتهى من إعداده ونشر فصول منه فى جريدة «الدستور» أن الحنين لزيارة النبى كان جارفاً، ومع ذلك لم تستطع تحقيق حلمها حتى بعد أن تفرغت لتربية ابنيها «زكى فطين عبدالوهاب» و«أشرف وجيه اباطة»؛ إذ حافظت على إسلامها وصلاتها وصومها حتى لقيت ربها..

ولعل تلك الأغنية كانت سبب تبرئتها من تهمة كاذبة وترويج بأنها دفعت خمسين ألف جنيه تبرعاً لدولة «إسرائيل» بعد إعلان قيامها، وأنها سافرت إلى تل أبيب سرّاً، والتقت بأقاربها هناك، وأن الموساد جنّدها.. إسلامها أنقذها من كل سوء.

وذهب المخرج صلاح أبو سيف لزيارة صديق يسكن الإيموبيليا، فجاءته فكرة فيلمه الشهير «بين السماء والأرض»؛ إذ راوده خاطر: ماذا يحدث لو أن المصعد توقف بركابه؟

## صحافة بكرة

أسماء المجالات تدل على نوايا أصحابها خريجو قسم إعلام بكلية آداب جامعة حلوان فى مشاريع تخرجهم عام ٢٠١٧.

فازت «خارج التغطية» التى يرأس تحريرها التنفيذى «حسام شورى» تحت إشراف أساتذة الإعلام فى الجامعة، وأولهم رئيسة القسم الدكتورة «نائلة عمارة» التى تأتى شهرتها أكثر بتقديمها برنامجاً تليفزيونياً متميزاً، وتوقف لأسباب شتى!

أسماء باقى مشروعات التخرج:

قرص مسكن - فكة - سلام - عرضحاجي.

بالإضافة للموقع الإلكتروني «تحت العشرين - فاهمين وواعيين» الذى قدمه ١٨ طالب إعلام أصبحوا خريجين وزملاء، يخاطبون الشباب تحت سن العشرين، ومن يتعامل معهم ويحتكون بهم.. به صفحة «خطوط حمراء» للملفات الساخنة، و«بيونة وفيونكة» للصبيان والبنات.

أجرى الموقع حوارات مع الكاتب «عمر طاهر» ونجمى السوشيال ميديا «محمد عامر وزوجته» والروائى «محمد عصمت» صاحب قصص الرعب، و«أحمد رياض» مدير تحرير مجلة «الأخبار برايل».

حاورت «خارج التغطية» المرشح الرئاسى السابق «عبدالمعتم أبو الفتوح»، وجعلت صورته غلافاً، وعليّ الدين هلال أستاذ العلوم

السياسية الذى ارتبط بنظام «مبارك» تحت عنوان «التاريخ لا يعود للخلف»، ومحمد أبو الغار تحت عنوان «البرادعى خوَّاف ولا يصلح للعمل السياسي»، وعبدالمعزم عمارة «مبارك مش حرامي»، وهيثم الحريري: «ميزانية البرلمان بذخ»، وخالد تليمة: «كنت أعلم بقرار رحيلى عن الإعلام قبل قبل إبلاغى رسمياً»، وياسر أيوب: «تجاهل الأبطال عادة مصرية»، وجميل راتب: «عدد شائعات وفاتى ٦٦ مرة».

نشرت المجلة موضوعات مختلفة، من بينها تحقيق عن قرية «العزيرية» بالبدرشين، وهى القرية التى عاش فيها «سيدنا يوسف» فى مصر.

هيئة التحكيم: عماد الدين حسين رئيس تحرير «الشروق»، ومحمود مسلم رئيس تحرير «الوطن»، وقنوات «دى إم سي» التلفزيونية، ومحمود الضبع رئيس تحرير موقع «انفراد».

مرحباً بدم جديد فى دنيا الصحافة.. لعل وعسى !!

كيف «لا» تقرأ الصحيفة؟

أفتح عيونى فى الصباح -بعد نوم قلق لا داعى لذكر أسبابه- على قراءة الصحف.. «أعافر» بما تبقى لى من «نظر» لمعرفة بعض ما يجرى فى المحروسة.. ولا عتاب على «الشيش بيث» فاعتب كله على العمر الذى طال..

هل يمكن أن يحيا الإنسان بدون صحيفة تنكّد عليه عيشته؟ أم أن يسعد بكونه الأطرش فى الزفة.. وما أكثر العميان والطرشان فى هذا الزمان!

إثم أننى بعد ساعة أو ساعتين سوف أدخل فى امتحان «إيه الجديد عندك النهارده»؟ سؤال يطرحه كل صباح صديقى «توماس

جورجيسيان» عبر الأثير مع حساب فروق التوقيت من «واشنطن» حيث يقيم مراسلاً صحفياً مصرياً من أصل أرمنى يحمل الجنسية الأمريكية، كتب في كل صحف القاهرة من «صباح الخير» إلى «الأهرام» عبوراً بـ«الوفد» و«الجمهورية» و«التحرير».. درس الصيدلة وعمل بها سنوات في أجزاخانة «مترو» الشهيرة بجوار «أمريكين» عماد الدين، وله فيها حكايات ليته يضمها في كتاب. ما دام الفن والأدب قد أفسده.. وبعد أن ذاق حلاوة إصدار أول كتبه «الطيور على أشكالها تطير»، وأرجو ألا يكون كتابه الأخير.

كنت أشتري صحيفة واحدة، فأصبحت أقرأ كل الصحف، سواء من أولها أو من آخرها. من عناوينها وتفصيلها ومقالاتها إلى إعلاناتها ووفياتها واستغاثات المواطنين بالفلوس.. أعرف قيمتها من عدد الدقائق أو الثوانى التى أستغرقها قبل أن أطوى صفحاتها. بعضها تستهوينى وبعضها أمرّ عليها مرور الكرام.. أو اللثام.

تمنيت أن يصبح لى عشر عيون «سته على سته»، أقرأ بها ما فاتني، وأنواصل مع زحف شباب الجيل الجديد.. وأن يصبح عندى عشرة أقلام تكتب بسلاسة ما يثيرنى حباً.. وغضباً.

ولكن ما باليد حيلة بعد أن تكاثرت علينا الصحف و«استفرد» بنا الكتاب!!

## الفهرس

٥	الكتابة بقلم «ستة على ستين»
١٣	أول ليلة طوارئ
١٦	«محسن وسمير وبينهما محفوظ»
١٩	ماذا كانوا يقولون زمان؟
٢١	كيف «لا» تختار رئيس تحرير؟
٢٤	مطلوب رئيس تحرير
٢٧	حتى «لا» نغلق الصحف؟
٢٩	معاناة الصحافة
٣١	كيف «لا» تُصدر صحيفة؟
٣٥	رؤساء وإعلاميون وعفاريت!
٣٩	الرئيس والسادة المثقفون
٤١	هاتوا البخور واذبحوا الديوك!
٤٢	تعددت الأسباب
٤٩	طفى النور
٥٣	ضرب القباقيب
٥٩	اختفاء غامض لصحفي مصري
٦٢	الصحفيون «لا» يحبون تدقيق المعلومات

- ٦٥ شكراً أيها السادة النواب
- ٧٢ كل كلاب الرئيس
- ٧٧ من يومها ورئيس التحرير يقرأ البخت قبل المانشيت
- ٨١ الفساد بدأ مبكراً
- ٨٦ فريد شوقي يحرر طاباً!
- ٨٨ كاريكاتير بالريشة والقلم
- ٩٥ يا خفى الألفاظ!
- ٩٨ قطار الأمل
- ١٠٠ الموت فى السماء
- ١٠٣ عنبر «٢» فى مزرعة طرة
- ١٠٩ ياما زقزق القمرى!!
- ١١٤ كشف المستور فى «غابة» الصحافة
- ١١٩ كيف يقطعون لسان الدولة!؟
- ١٢٤ مطلوب حياً أو ميتاً
- ١٣٩ صناع البهجة
- ١٣٤ الكتابة بحب.. وابتسامة
- ١٣٦ الكتابة بحب.. ودهشة
- ١٣٩ الكتابة بحب.. وشجاعة
- ١٤٢ الكتابة بحب.. وغرام.
- ١٤٤ خريف العمرى يا ولدى
- ١٤٧ غزل البنات
- ١٥٣ صحافة بكرة

obeikandi.com